

ايليا حليم حنا

كيف نبني الدولة المتطورة ؟

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

الحضارة اليوم ليست من صنعنا نحن العرب ، اننا ننقلها عن الغرب . لماذا وعالمنا العربي لديه المال الوفير والعقول الذكية ؟ ! ماذا يعوق وصولنا الى ما وصلت اليه الامم التي قطعت شوطا حضاريا راقيا ؟ ! لماذا لم نصل الى المستوى العلمي العالمي وكل الامكانيات متوفرة لدينا ؟ !

هذا السؤال وجدت له اجابة في كتاب (نحن والعلم) للعالم الكبير الدكتور علي مصطفى مشرفة ... نشر هذا الكتاب عام ١٩٤٥ واذيع الفصل الاول منه على امواج الاثير عام ١٩٤١ ، وبالرغم من مرور ثلث قرن على تاليفه فانه دستور عملي يمكن الاخذ بما جاء فيه من دراسة موضوعية شاملة للبناء العلمي الحضاري ويحوي الكتاب تحليلا للعلم ورسالته واثره في بناء الدولة المتطورة وارساء قواعد الحضارة والقيم الطيبة والسلام .

والدكتور (علي مصطفى مشرفة) غني عن التعريف فأبحاثه ونظرياته العلمية لها وزنها بين العلماء في الخارج ؛ وقد اضاف اضافات دقيقة هامة في العلوم الرياضية قدرها له كبار العلماء ورجال البحث العلمي في العالم واعترفوا بنبوغه وعدوه من المع الشخصيات العلمية . وهو اول من قال ان المادة والاشعاع يمكن اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول احدهما للآخر ، اي ان المادة يمكن ان تتحول الى شعاع ؛ وقد اقترنت هذه النظرية باسمه ؛ ومهدت الطريق امام العالم ليحول المواد الذرية الى اشعاعات . وقد قال (السير اوليفر لودج) : ان نظرية الدكتور مشرفة في هذا الشأن اكبر من عظيمة . وتحدث عنه في كتابه (ما وراء الطبيعة) .. واستشهد به العالم (جيمس جينز) في كتابه : (العالم الغامض) في تفسير الاشعاع الضوئي الصادر من الشمس . وتمتلىء المراجع الاجنبية العديدة بعبارة (قال الدكتور مشرفة) مستشهدة برايه في الموضوع الذي تبحثه . وعندما سمع العالم الفذ (البرت اينشتاين) خبر وفاته في ١٥ يناير ١٩٥٠. قال « لا تقولوا ان مشرفة مات ، لا ... اننا محتاجون اليه ، انه خسارة كبيرة ، لقد كان رائعا وكنت اتابع ابحاثه في الذرة بكل ثقة ، لانه كان من اعظم علماء الطبيعة » .

يبدا الدكتور مشرفة كتابه (نحن والعلم) بقوله : اننا في غير حاجة الى فلسفة كلامية لكي ندرك ما صار للعلوم من اهمية في المجتمع البشري ، فكل شيء يحيط بنا اليوم في حياتنا الحديثة يكاد ينطق بفضل العلم ، وكل تقدم في فنون المجتمع البشري ووسائله ومرافقه انما هو ثمرة من ثمرات العلم والبحث العلمي .. ثم يسأل : ما مبلغ ما وصلنا اليه من العناية بامر العلم والى اي حد يمكن ان نزعم ان حياتنا الحديثة مدعمة على اسس علمية صحيحة ؟ !

ويرى الدكتور مشرفة ان الامة التي تعتمد على ثمار العلم المستوردة ليست امة متقدمة ، انها امة تعيش عالة على غيرها ، وتظل تجري وراء الدول الضالعة في العلوم والتكنولوجيا ، ويقول في ذلك : في امكان كل امة مهما بلغ بها الجهل ان تبتاع بالمال نتائج الصناعة الحديثة . ليس هذا هو التقدم العلمي والتكنولوجي ... ان هؤلاء القوم اذا ظنوا انهم يستطيعون مجاراة غيرهم من الامم في ميدان الحياة العلمية انما يخدعون انفسهم فالعلم والخبرة الفنية ليسا شيئا يباع ويشترى بل هما نتيجة التحصيل والدرس والمران .. والامة التي لا تسهم في مجهود البشر العلمي والصناعي وتظن انها تستطيع ان تعيش عالة على ما تنتجه قرائح غيرها من الامم ؛ هذه الامة انما تعيش في حلم سرعان ما تتنبه منه لتجد نفسها حقيرة الشأن .

يريد منا عالمنا الكبير الدكتور مشرفة ان نرعى العلماء الذين نعتمد عليهم في مسايرة العصر في الانتاج العلمي المذهل وان ننفق انفاقا كبيرا لنصل الى هذا المستوى الذي يمكننا من الاعتماد على انفسنا وابتكار ما لا يبتكره الآخرون ، ويرى انه بدون هذا لن تكون الدولة عصرية ، انما قد يكون لها مظهر الحضارة العلمية دون ان يكون لها دور فعال .. ونرى ان في هذا خطرا مريعا يهدد الامة بالتأخر عن القافلة العلمية التكنولوجية ... ويقول في ذلك : ما

قيمة الآلات المستوردة في ايدي قوم لم تحل بهم المقدرة الى درجة يستطيعون بها اصلاح ما نسد منها ، وهبهم تمكنوا من القيام بعملية الاصلاح فكيف يتيسر لهم صنع قطع الغيار او تحسين هـذه الآلات والصناعة في تقدم مستمر والامم في تنافس شديد لاتقان ما يصنعون بحيث لا يكاد يمضي حول او بعض حول على آلة من آلات الحرب والسلام الا ظهر ما هو احسن واتم منها صنعا واوفى بالغرض الذي صنعت من اجله ؟ كيف يتيسر لهم ذلك اذا لم تكن لديهم دور لصناعة هذه الآلات ، واخصائيون لصنعها واخصائيون لوضـع رسومها وعلماء وبحاثون لدراسة المبادىء العلمية التي ينبني عليها قيامها بوظائفها والمسائل العلمية التي ترتبط باستخدامها وتحسين صنعها ؟ ..

وقد ضرب الدكتور مشرفة عدة امثلة ليبين لنا انه لا خير يرجى الا ان يكون لنا علماؤنا الذين يبتكرون ويخترعون ويطورون والا فاننا نكون عالة على العالم الذي يستخدم العلم في الاختراع والابتكار . ان الامة التي تنتفع بثمار العلم المستوردة ولا يكون لها نصيب في دفع عجلة هذا العالم السريع التطور تظل تعرج وتعرج وتتأخر وهـي تجري وراء الامم المتقدمة ولا تأخذ الا الفتات المتساقط من موائد العلم الدسمة ... انها امة متأخرة وان كان لها مظهر التقدم .

اننا نسمع الكثير ــ في ايامنا هذه ــ عن قوة العلم الرهيبة ... والامة العصرية لهـا القدرات العلميـة والتكنولوجية التي تجعلها امـة منتجة انتاجا علميـا في ابتكاراتها واختراعاتها بفضل الاسرار العلمية التي تصل اليها عن طريق علمائها .. مثل هذه الامة لن تتخلف ولن تفاجأ بجديد تطلع به الامم المتقدمة علميا ... وهذا امر ضروري لاية امة تريد ان تكون لها مكانتها في العصر الذي نعيشه وفي العصور المقبلة ... ويتوقع العلماء ان السنين الباقية من القرن العشرين ستفاجئنا بتقدم يفوق ذلك التقدم والرقي اللذين حققهما العالم عبر آلاف السنين منذ بدء الخليقة ، والدولة العصرية تعي ذلك تماما وتعد له حتى لا تتخلف .

والعلماء ثروة الامة وعدة مستقبلها ومصدر قوتها ورفاهيتها وعزتها وكرامتها ، بهم تصون حريتها وترهب اعداءها وترد كل طامع وتوفر الرخاء والخير لابنائها .. ان كل ما ينفق من اموال على العلماء والبحث العلمي لهو كسب عظيم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ...

ويرى الدكتور مشرفة انه على الدولة الا تضن بالمال الواجب انفاقه في هذا السبيل ويضرب لنا مثالا بالخليفة المأمون والمكتبة الكبرى التي كانت تعرف بخزانة الحكمة وان علماء ذلك العصر كانوا منقطعين اليها بشجعهم على ذلك ما تحلى به المأمون من الرغبة في العلم وتقريب اهله وادنائهم وبسط كفه لهم ومعونته اياهم .. وهذا هو سر التقدم في عصر المأمون وسر التقدم المذهل في عصرنا الحالي فان الدول تنفق بسخاء على البحث العلمي وتربية العلماء ورعايتهم واخلاء فكرهم من كل مشاغل الحياة حتى يتفرغوا بكل كيانهم لابحاثهم واختراعاتهم والوقوف علـى اسرار الطبيعة واستغلالها .

وهنا يجدر بي ان انقل ما قاله عالمنا الكبير في هذا الخصوص : « الدولة الحديثة تعتمد على العلم في كـل مرافقها بل انها لتعتمد عليه في الدفاع عن كيانها ووجودها ، ولم يعد يكفي ان يبقى العلم معزولا عن المجتمع ... لذا فان المجتمع الحديث يرى لزاما عليه ان يتعهد العلم وان يحميه وان ينفق عليه ، فالجامعات يجب ان يرصد لها في ميزانية الدولة ما يسمح لها بالنهوض بمهمتها والمضي في تحقيق رسالتها .. » ورسالة الجامعة هي اعداد القادة والعلماء ، وليست وظيفة الجامعة اعطاء شهادات وتخريج موظفين .. ليست هذه وظيفة الجامعة .. وليس هذا هـو التعليم الصحيح الذي نعتمد عليه في بنـاء الدولة المتقدمة .

وكل مخلص لامته يرى مع الدكتور مشرفة انه يجب ان نشجع كل من تبدو منه بادرة نبوغ ونعينه على القيام بأبحاثه فكم كان يخسر العالم لو ان الامريكيين سخروا من (اديسون) لانه لم يحصل على اي مؤهل ولم يمكث في كل حياته اكثر من ثلاثة شهور في التعليم الابتدائي .. ولكنه اخترع المصباح الكهربائي ومئات الاختراعات المفيدة !! لذا يجب ان نحترم ونعترف بالتثقيف الذاتي حتى نشجع اصحاب المواهب على ان يبرزوا ، فهؤلاء ايضا كنوز يجب الا نخسرها .. !

اننا نرسل ابناءنا الى الخارج وننفق على تعليمهم المبالغ الطائلة ويعودون وهـم يحملون اعلى الدرجات العلمية .. اننا لو اتحنا لهم التفرغ الى البحث والابتكار لاصبح كثير منهم في مصاف العلماء المبرزين في العالم . وعلى هؤلاء وعلى خريجي جامعاتنا تتوقف سمعتنا العلمية بين الامم بما ينتجونه من بحوث وما يبتكرونه من اضافات الى تقدم العلم والمعرفة ، ويجب ان يكون الهدف مـن الجامعة ــ ايضا ــ تخريج شباب له اثره الواضح في تطور الصناعة والزراعة والهندسة والفنون ومناحي الحيـاة ومرافقها المختلفة .

ويحدثنا بعد ذلك عن البحث العلمي وتنظيمه ويقسم البحوث العلمية الى نوعين رئيسيين : « بحوث في العلوم البحتة وبحوث في العلوم التطبيقية » ، والغرض من البحث العلمي هو الوصول الى المعرفة او الاضافة الى علـم البشر .. اما البحوث التطبيقية فلها غرض آخر ليس هو الوصول الى المعرفة بـل هو الوصول الى القدرة ..

والبحوث العلمية البحتة هي الاساس والبحوث التطبيقية مبنية عليها ؛ ولا يمكن تصوير البحث التطبيقي الا على اساس من العلم الاكاديمي ...

ويقوم بالبحوث العلمية البحتة رجال الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة ويقوم كل منهم ببحوثه الخاصة متعاونا في ذلك مع غيره من المشتغلين في فرعه ، والاستاذ في الجامعة يشعر ان اول واجب عليه متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباته الاخرى ... يجب علينا ان نذكر ان مقام الجامعة لا يكون بعظمة مبانيها ولا بكثرة طلبتها ولا بضخامة ميزانيتها ، وانما تقاس رفعة الجامعة وعلو شأنها بمقدار ما تنتجه من البحوث العلمية ...

ويجب ان نسارع الى تشجيع الباحثين بكل ما تملك الدولة من وسائل مادية وادبية ، ويجب ان يشعر كل مشتغل في ميدان البحث العلمي ان عمله مقدر مشكور ... ويجب ان تتصل مجامعنا العلمية اتصالا وثيقا بحياة علمائنا وباحثينا ويكون لها من المقام العلمي ما لغيرها من مجامع الامم المتحضرة اذا اردنا للبحث العلمي نموا واطرادا .. ولكي ننظم البحث العلمي التطبيقي او الصناعي وجب علينا ان نبني هذا التنظيم على البحوث العلمية البحتة ...

وشبابنا الذين يدرسون العلوم ويحصلون على الدبلومات والدرجات العلمية يوجه القادرون منهم نحو البحث الصناعي، وبذلك ننشيء جيلا جديدا من المتخصصين الاكفياء الذين يجمعون بين الاعداد العلمي الصحيح والخبرة الفنية العالية .

وينتقل الى التحدث عن الطب والعلم لوقاية ارواح الناس وابدانهم فيضرب المثل بالامصال الواقية والمواد الكيميائية ويقول اننا ننفصل الطب عن العلم : اي نتعلم كيف نطبب الناس وليس لدينا الطبيب العالم الذي يجري الابحاث ليطلع على البشرية بشيء جديد .. انه ينتقد ان يكون الطب عندنا حرفة يتعلمها الصغير من الكبير ثم ينصرف الى ممارستها ولا يعمل اكثر من هذا .. انه يدعو الى البحث العلمي في الطب ويلفت نظر اطبائنا القائمين على اعداد الاطباء وتعليمهم ان يدربوهم على البحث العلمي ليخلقوا الطبيب العالم .

قرات منذ بضعة اشهر عن الطبيب العالم (دكتور و . ج . كولن) استاذ الجراحة بجامعة يوتاني والذي جاء الى مستشفى المعادي بالقاهرة لاجراء عمليات متطورة في الكلى ، واعجبت بالرجل لابحاثه واختراعاته الطبية العجيبة : لوحة صغيرة يمكن تركيبها في محجر العين تحل محل شبكة العين الطبيعية ، جهاز الكلى الصناعي : سماعة للصم . يد صناعية تم بتركيبها لمواطن امريكي ونجحت تماما ؛ محاولة تركيب قلب صناعي لاصحاب القلوب المتهالكة .. قرات عن كل هذا وتمنيت مع الدكتور مشرفة ان نخلق في عالمنا العربي مثل هذا الطبيب العالم الذي جعل الامل يفتح ابوابه امام اصحاب العاهات !

وينتقل الدكتور مشرفة في كتابه الى الثروة المعدنية والموارد الطبيعية الاخرى كاستنباط القوى الكهربائية من مساقط المياه .. واستخدامها في الصناعات واثرها في زيادة الثروة القومية عشرات المرات بل مئاتها ...

ثم يدعونا الى التفكير الحر المطلق والانفتاح على العصر الذي نعيشه والتخلص من كل ما يشدنا الى الخلف ، قال : « اذا ذكرت التفكير البشري وابنت ان لا حدود له ، فانما اقصد التفكير الحر المطلق من قيود الجهالات واغلال الاساطير والخرافات ، فطالما رزح الفكر تحت هذه السلاسل مكبلا بها ولطالما عانت البشرية من جراء ذلك وبالا ونكالا ، ففي القرون الوسطى كانت درجة حرية الفكر ضئيلة ولذا كانت دائرة البحث العلمي ضيقة ، ولم يكن يجسر احد على اعلان رايه حتى في ابعد الامور عن نظم المجتمع وعاداته واقلها اتصالا بها مخافة ان يسفه قوله باسم هذه النظم والعادات وان يرمى بأشنع الطعون والاتهامات ... حرية الفكر شرط من شروط انتشار العلم ، بدونه لا يرجى للعلم تقدم او نمو وبدون هذه الحرية لا يتمكن العلم من تأدية رسالته ومواصلة جهوده في ميدانه الفسيح ، وبهذه الحرية لا تحده الا قوانين المنطق السليم ولا يعترف بسلطان غير سلطان الحقائق الواقعة والتفكير الصحيح ، بهذه الحرية نما العلم واتسعت دائرته في العصر الحديث » .

ويختم الدكتور مشرفة كتابه بفصل عنوانه « كيف يوجه العلم والعلماء لتحقيق تعاون عالمي » فيقول : « التعاون بين العلماء حقيقة واقعة ... فالعالم الامريكي في معمله يتم بحثا ينشره في مجلة امريكية ، وبعد مدة وجيزة تكون هذه المجلة في ايدي علماء اوروبا وآسيا وافريقيا واستراليا فاذا هم متكاتفون على دراسة هذا البحث ، ثم هم بعد ذلك معقبون عليه او ممحصون له ، وقد يحدث ان يثير هذا البحث اهتمام عالم في آسيا فيقوم بتجربة متممة لتجربة العالم الامريكي وينشر نتائجها في مجلة يابانية ثم يتلقف الفكرة بعد ذلك عالم نرويجي ينشر بحثه باللغة السويدية وهكذا ... وتوجد وسائل اخرى لتحقيق تعاون العلماء كعقد المؤتمرات وتبادل الاساتذة وارسال البعثات العلمية وانتخاب اعضاء اجانب ومراسلين في المجامع العلمية وغير ذلك من وسائل التعاضد والتساند » .

ثم يتحدث عن المسؤولية الاخلاقية التي تقع على عاتق العلم والعلماء ازاء تلك الالات والمخترعات الجهنمية التي ترمي الى اهلاك البشر وتعذيبهم ، فيقول « العلم يرمي الى المعرفة ولا يمكن ان يتهم بالتخريب ، والمخترعون ومن يقوم على تمويلهم وتشجيعهم هم الذين تقع عليهم التبعة

في ظل التوتة

دوحة التوت قرب داري في الر   يف ، على ضفة الحقول الثريه
وقفت حارسا على الباب ضخما   مستعـزا بالقامـة السمهريـه
نسجت في الربيع اوراقهـا الخض   ر ، وصاغت ثمارهـا السكريه
ظلها الرطب في الهجير ، بساط   فرشتـه .. بالوافدين حفيـه
رقـة الطبـع والوداعة فيهـا   فطرة الله ، والعطاء سجيـه
وعـدا صبيـة صغار اليهـا   فشفى حرهم .. نسيم وظـل
فاستراحوا واستروحوا ما أفاءت   فوقهم مـن نوالها .. ثـم ملوا
وبدا التوت في الغصون شهيا   بعضه نائـم .. وبعض يطـل
شاقهـم مجتناه يبـدو متاحـا   فتنادوا لغصبـه ، واستحلوا
شره ردهـم قطيعا مـن الوحش ، واظفـاره حصـاة ونبـل
اخذوا يحصبونها وهـي تغضي   ثـم تلقي .. سخيـة بالثمار
ويدهم .. اسرفوا ، وما أدبتهم   آي الاثهـا العـذاب الغـزار
مزجوا بالمجون طول التمادي   وأحاطـت نوالهـا بالوقـار
حين عنفتهم على ذلـة السطو   ووزر الجحـود والانكـار
قال لي صاحبي الحكيم رويدا   وأعف عنهم .. فذاك شأن الصغار

الاسكندرية   ادوار حنا سعد

الاولى .. ولكن لا نعفي العلماء من المسؤولية فان عليهم مسؤولية لم يعد من الممكن التغاضي عنها هي مسؤولية الدعوة الى الخير والحق والدفاع عنهما » .

ثمار العلم كلها يجب ان تكون لصالح البشرية تنتج حياة افضل لاي شخص في اي مكان ... ولا شك في ان العلماء اذ هم تساندوا في اقطار الارض وتعاونوا فانهم قادرون على ان يحولوا بين ذوي المطامع والشهوات من رجال السياسة والمال وبين الفتك بالمجتمع ، فالعلم يملك السلاح الذي يستطيع به ان يدافع عن قضية الحق والعدل والفضيلة ... يجب ان تصر الهيئات العلمية في العالم على منع كل عابث من استخدام نتائج العلم للاضرار بالبشر فاذا اتخذت هذه الهيئات موقفا حازما ازاء هذا الموضوع الخطير فانها ولا شك تستطيع ان تضع الامور في نصابها اذ ان الراي العام في العالم كله سيكون في جانبها ...

ويكون شأن العالم في ذلك شأن الطبيب الذي لا تسمح له الهيئات الطبية باستخدام علمه وفنه في الاضرار بالناس ... يجب ان يمتنع كل رجال العلم عن وضع خبرتهم وعلمهم تحت تصرف رجال السياسة والمال الذين يتصرفون بعقلية انسان الغابة .. يجب الا ينسى العالم انسانيته ويجب ان يتقيد بالقيم ويسعى في مجهوداته العلمية الى ضمان السلام والسعادة للانسان .

ونحن في العالم العربي يجب ان نحارب معركتنا الحضارية بقوة ... ولكي نصل سريعا الى الهدف لا بد من عملية مسح شاملة لكل امكانياتنا ، والافادة بكل علمائنا ورعايتهم للوصول بهم الى المستوى العلمي العالمي ...

هذا هو سبيلنا الى بناء الدولة العلمية والى الطفرة الحضارية التي توصلنا الى المستوى الحضاري العلمي الذي وصلت اليه الدول التي غزت الفضاء والتي نعتمد عليها ونعرج وراءها ...

هل آن الاوان ان يقف العربي على قدميه وان تكون له ابحاثه الخاصة به ويسهم في بناء حضارة العالم ويكون له دوره الايجابي الفعال ؟ ! اعتقد انه لا شيء يحول بيننا وبين تحقيق هذا الهدف ولدينا كل مقوماته : العقول الذكية والمال الوفير .

القاهرة   ايليا حليم حنا

يا شاعر الفيحاء



الى روح الشاعر العظيم جورج صيدح

يا صديقي العزيز ، يا صاحب الاديب
راعني موت اخينا الشاعر العظيم جورج صيدح ، فما شعرت الا والدمع يتساقط من عيني والهلع يعصف بين جوانحي ، فلما هدات سورة الجوى واستعدت انفاسي رايتني اضع اللمسات الاخيرة على هذه القصيدة ، فارجو ان تتفضل بنشرها ، لنا من بعده العزاء ولك طول البقاء . والف تحية وقبلة لك من اخيك

زكي قنصل

* * *

خلفت اسراب الطيور حيارى ... وتركت اكباد الاحبة نارا
وغمرت آفاق العروبة بالاسى ... يا ويحها كم غيبت اقمارا
تبني وتنجب للخراب وللردى ... لم لا يعيش عظيمها الادهارا
يا صيدح الشعر الذي رقصت على ... نغماته الدنيا ... فديت هزارا
لو يعلم الناعي مكانك في العلى ... لطوى النعي وآثر الانكارا
عجبا اتثوي في التراب وكنت لا ... ترضى اقل من المجرة دارا
ويهيض جانحك القضاء وكنت في ... ساح الجهاد الفارس الكرارا
ترمي وترمى لا تني لك همة ... وتصول في غمراتها اعصارا
ما هدك الداء العياء وانما ... خطب الديار على فؤادك جارا
ايموت من وهب القضية روحه ... وبنى لها في قلبه الاسوارا
حملت نفسك فوق طاقتها فهل ... ايقظت جفنا او اقلت عثارا
كم صيحة للثار لو اطلقتها ... في القفر لانتفض الجماد وثارا
طافت على الاسماع ، لكن لا صدى ... منذا لبيي شاعرا ثرثارا
يا شاعري اشكو اليك كبارنا ... فلقد غدوا بعد البلوغ صغارا
يتهالكون على الرذيلة والخنى ... علنا ويحصون الاله جهارا

يا شاعر الايمان يجمع بيننا ... عهد صفا سببا وطاب نجارا
عهد بناه الحرف ، لم تعصف به ... غير النوى ، بل زدنه استقرارا
شط المزار بنا. ولكن لم نزل ... نرعى « لرابطة »(1) البيان ذمارا
اني لتخنقني الكآبة كلما ... خطر اسمها بين الشفاه ودارا
او ذاكر في ظلها سهراتنا ... نتطارح الاشعار والاخبارا
تختال انت على العشيرة « اخطلا » ... حلو اللسان وازدهي « بشارا »

---

(1) هي الرابطة الادبية في الارجنتين ، وقد نشأت بمساعي الفقيد يوم جاءها بقصد الاقامة .

لا مـزح ينسينا الوقار وربمـا ... لبس المزاح الـى الندي وقـارا
نرتادهـا والليـل في اقماطـه ... طفـل تـردد في الظلام وحـارا
حتى اذا طلع الصباح على الربى ... ختـم الحديث وفـرق السمـارا
وتخالطـت خطواتنـا فكاننـا ... من خمر شعرك نستميل سكارى
لولاك يا ابن الشام لم يعرف لنا ... ادب ولـم يعـرف لـه انصارا
انـت الـذي استنبشته وجلوته ... كنـزا تخاطـف نـوره الابصارا
سجلـت الـف فضيلـة لبناتـه ... ورفعتـه للتائهـين منـارا
صاولت فيـه الحاقدين تالبـوا ... لقتالـه وتهيـاوا اظفـارا
جـاؤوا بـآلات الدمار وجئتهـم ... بالحـق فانقلب الهجوم فـرارا
نفـرت بالايمـان كـل مفـازة ... وقدحت مـن ليل الشكوك نهارا
يا صاحبي شرب الزمان مدامعي ... فاعـذر اذا لـم ينهمرن غزارا
حامت على قلبي الخطوب فلم تدع ... فيـه لبارقـة. الرجـاء مـدارا
مـاذا اقول وقـد تبلبل خاطري ... وعصى البيـان اميـره الخطارا
عشرون من خير الصحاب مضوا فما ... جدوى البقاء وقـد وهبت جدارا
كانوا كواكب في سمائي وانطفوا ... اتكـون ايـام الضيـاء قصارا
لم يبق من اصواتهم الا الصدى ... كالـدار يتركهـا الردى آثـارا
عابوا علـي تجلدي ولـو انهم ... سبروا جواي لاطرقوا استغفارا
في مهجتي نـار وفي عيني قذى ... بلـوا غليلـي او امـوت اوارا

يـا شاعرا نبذ السخافة محتوى ... واستقبح الثـوب الزري اطـارا
مـا كنت خصما للجديد ، وانما ... خاصمت مثلـي الزيف والتهذارا
اكبرت فيك صراحة في الحق لا ... تـؤذي صغارا او تهـاب كبارا
قـل للذين علـى الجمال تآمروا ... يبقـى الجمال وتذهبون غبـارا
حاربتـم الشعر الاصيل فحاذروا ... عقبى الغرور ... لقد يكون بوارا
مـن ينبىء الفيحـاء ان هزارها ... هجـر الغصون المائسات وطارا
لبـى قرير العـين دعوة ربـه ... اكـرم باخـدار السماء قـرارا
يـا لهفـة الفيحاء تفقـد دوحة ... زهـراء طابت منبتـا وجـوارا
لا الريح تلويهـا ولا تحني لهـا ... راسا بـادراج السحاب تـوارى
شمخت ولكن لا غرور ... وطالما ... زاد الشموخ ذوي الصغار صغارا
تاوي اليها الطير تطلب مفزعـا ... فتـرد عنهـا الخوف والاخطارا
وتمـد للراجـي مراحـم ظلهـا ... واذا اشتهى ثمـرا حبتـه ثمارا

يـا لهفة الفيحاء كـم غنى لهـا ... وبكـى لفرقتهـا دمـا مـدرارا
حببـت عليـه واطلقته للملـى ... فانساب يمـلا دربهـا ازهـارا
يشدو فتصطفق الخميلة صبـوة ... ويهـز اعطاف الربيـع فخـارا
لـم يغترب عـن اهله طمعا ولم ... يتـزك مراتـع انسـه مختـارا
لكـن لكـي يرضي نداء طموحه ... ويـرود آفاقـا ويجنـي غـارا

يـا شاعر الفيحاء هذي دمعتي ... هـلا اخترعت لعيهـا الاعـذارا
اقسمت لـن يجزيك حقك شاعر ... ولـو انـه نظم السهى اشعارا
عقل المصاب يدي وغل فصاحتي ... فليك قلبي ... ان دمعي غارا

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

الموقف والسلوك

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

كانت النظرة الارتباطية هي المسيطرة على مباحث علم النفس ، في القرن التاسع عشر ، وهي ترجع الى اثر الفلسفة الانجليزية في القرنين السابقين السابع عشر ، والثامن عشر ، وخاصة لوك ، وبركلي ، وهيوم .

وبفعل تأثر علماء النفس بالعلوم الطبيعية ، اعتبر الارتباطيون عملهم نوعا من الكيمياء العقلية ، يبحث في الخبرات الاولية ، والعمليات النفسية ، والتي يرجعونها الى نشاط العقل ، او نشاط الشعورية عامة .

كان علم النفس وقتها (علم الشعور) ، وكان يؤمن بالعقل ، وقوته التأليفية ، وان ارتباط الخبرات النفسية ، البسيطة ، او المركبة ، او ايضا المعقدة ، بعضها ببعض ، والتي نحصل عليها عن طريق الاستبطان ، او طريق التحليل هي شيء من النشاط العقلي ، والشعورية .

وقد ذهب فريق من الارتباطيين الى ان هذه الارتباطات شيء آلي ، ويعود الى التجربة الانسانية ، اي تجربة الشخص ، ولا يتدخل فيها العقل ، كما ذهب فريق آخر الى ان للعقل (قوة تأليفية) ، بحيث هو يتدخل في الخبرة النفسية ، فيؤلف بين العناصر الاولية التي لها .

اكدت النظرة الارتباطية على هذه الارتباطات ، واعتبرت (الاحساس) هو العنصر النفسي البسيط(١) ، ومع ذلك رجح فريق قوة العقل التأليفية ، بالتالي ذاتيته ، بمعنى انه الى جانب الاحساس ومداخلاته الشعورية ، هناك العقل ، وقوته في التأليف بين الاحاسيس ، والمشاعر ، والافكار .

ان الارتباطية اذن ، رغم تنوعها ، بنائية ، تؤمن بالمضمون العقلي ، والشعوري ، والذي يبتني خبراتنا ، وتتكون منه افكارنا ، ويمكننا بواسطة التحليل اكتشاف القوانين المهيمنة على ارتباطاته .

ومن هنا هي تبدأ من الاحساس ، وتعتبره ابسط اشكال الخبرة الشعورية .. ويقول (فونت) ان الخبرة النفسية خبرة مركبة ، وان مهمة علم النفس الاساسية هي تحليل هذه الخبرة النفسية ، لمعرفة كيفية ارتباط عناصرها ، والكشف من القوانين التي تم بموجبها هذا الارتباط .

ولم يدم هذا التمثل طويلا ، اذ قاومه السلوكيون ، ورواد علم نفس الصيغة .. السلوكيون عابوا على الارتباطيين عملهم على مضامين فارغة ، في حين اعتبر الرواد الجشطليون هذا العمل (علم نفس الطوب والمونة) ، اي المضمون العقلي ، او الشعوري ، والارتباط .

السلوكية

وقد قامت السلوكية كرد فعل للارتباطية ، وعلى الخصوص كاحتجاج على اعتبار علم النفس (علم الشعور) ، اذ لم يكن السلوكيون يؤمنون بالشعور ، وراحوا يطالبون بمطالعة واقع السلوك في تجربة الشخص ، بدلا من افتراض وجود القدرات العقلية ، وذاتيتها .

لقد ثارت السلوكية(٢) على (البنائية) في علم النفس ، وما تقوم عليه من اساس عقلي ، او شعوري ، واتجهت الى اعتبار الكائن الحي ، ومنه الانسان : ـ كائنا ذا سلوك ـ . وبدلا من ان تبحث في ارتباطات الخبرات النفسية ، او في تداعي المعاني ، والافكار ، صارت تبحث في تداعي المنبه والاستجابة ، حركية كانت هذه الاستجابة او ذهنية .

وقد ساعدهم في ذلك اتجاه المدرسة الروسية في دراسة الانعكاسات ، اذ كان الروس يدرسون الاحساس تحت اسم (الاستجابة) ، واعتبروه استجابة سمعية ، او بصرية ، او ذوقية وهكذا ، كما اعتبروا الصور اللاحقة استجابة مرجاة .

وفي راي السلوكيين ان بامكانهم بحث حقائق علم النفس موضوعيا ، انطلاقا من سلوك الكائن الحي ، في حين ان وصف العقل ، او الشعور ليس امرا جوهريا ، وتحليله لا يجدي .. ولذلك صاروا اكثر فاكثر يردون ما هو كيفيي الى ما هو كمي ، ويحاولون قياسه موضوعيا .

وقد ميزوا بين (السلوك الظاهر) ، وهو الذي نلاحظه مباشرة ، او عن طريق التجريب ، وبين (السلوك المتضمن) ، وهو الذي يحدث داخل الجسم ، ويمكن ملاحظته بطرق خاصة ، وغير مباشرة .

القياس العلمي

وفي مطلع القرن العشرين ، اتجه علماء النفس الامريكان الى القياس الموضوعي فيما يتعلق بدراسة الفروق الفردية ، كما انهمك عدد منهم في بحوث خاصة بالغرائز ، والتعلم ، ووجدوا ان باستطاعتهم التحكم بتجاربهم على الحيوان ، اكثر من تحكمهم بها على الانسان .

وقد اعتمد (ثورنديك) على فكرة المنعكس الشرطي ، والتي ترجع الى بافلوف .. اي كون الاستجابة مستثارة من مؤثر ، ليس هو المؤثر الطبيعي ، واجرى العديد من البحوث على التعلم ، والنوم ، والحالات العصبية .

وهذا الامر ساعد في تحسين القياس العلمي في علم النفس .. وفي راي (ميير) ، انه اذا كان من غير الممكن قياس الشعور مباشرة ، فيمكن في الاستجابات قياس الاستثارات العضلية ، والعصبية ، وبالتالي تحديد دلالاتها النفسية .

وقد درس (ميير) زمن الرجع في الاستجابة ، عن طريق هذه الاستثارات ، واعتقد (واطسون) ان السلوك الانساني يحدث في عالم يسوده القانون ، والنظام ، واننا عندما نتوثق صلاتنا مع صديق ، فاننا نستطيع مقدما رسم خطة اوضح لما سيفعله في ظروف معينة .

وفي راي (واطسون) اننا يمكننا كتابة علم النفس ، بالتمثل الذي تمثله (بلسبوري) ، اذ عرفه بأنه علم السلوك ، دون التراجع مطلقا عن هذا التعريف(٣) ، ودون استخدام المصطلحات الغامضة السابقة ، مثل العقل ، والشعور ، والتصور ، والادراك وغيرها(٤) .

وفي نظره ايضا ان الفكر يتكون من حركات منظمة ، وانه بالتالي (سلوك متضمن) : هو حركات لاعضاء النطق ، والكلام .. في حين ذهب السلوكيون الى اننا نفكر بصوت عال ، وان الفكر هو كلام داخلي ، كما ان الانفعال سلوك حشوي .

وباختصار ، ان (السلوكية) تدرس الحركات القابلة للقياس العلمي في الكائن الحي ، من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسبقها .. وموضوع علم النفس هو اوجه النشاط عند هذا الكائن الحي ، باعتبارها اوجه استجابات لمنبهات ، ويمكن دراستها علميا ، وموضوعيا .

علم نفس الصيغة

وفي المقابل تحزب رواد علم نفس الصيغة للتراكيب ، وبنيتها الداخلية ، واعتقدوا ان تحليل اي من الخبرة ، او السلوك لن يقدم لعلم لنفس شيئا هاما ، في حين ان بحث الصيغ الكلية في واقع حياتنا ، سيكون بمثابة كشف عن الاسس الفعلية لخبراتنا في هذا الواقع ، والذي لا سبيل اليه الا تراكيب الصيغ التي تحتويه .

ومصطلح (جشطلت) يعني الشكل ، باعتباره مظهرا للتنظيم الداخلي ، او لنقل هو تركيب اصلي موجود منذ البداية .. ومن حسن الطالع ان المصطلح الذي يقابل جشطلت في اللغة العربية ، هو مصطلح (صيغة) ، ويدل على الشكل وايضا على صياغته ، وبالتالي يكشف عن البناء الصميمي الذي ينتظم الشكل ، وينظمه(٥) .

ويرى الجشطلتيون اننا لا ندرك الا كلا ، وانه لا توجد (عناصر) ، وانما توجد اجزاء .. وهذه الاجزاء ليست عنصرية ، وانما هي عبارة عن بناء ، وتدرك بالنسبة الى الكل ، فالمجتمع مثلا كل منظم يتصف بصفات بنائية ، وصفات الكل ليست مجموع صفات الاجزاء ، ولكن (الكل) في صفاته اكثر من مجموع اجزائه .

واللحن الموسيقي يمكن تاديته من مقامات مختلفة ، منخفضة ، او متوسطة ، او عالية ، ان العوامل الحسية الناجمة عن تاديته على هذه المقامات تختلف .. الا ان اللحن ، ككل ، يظل هو هو ، لان له ، ككل ، صفات غير مرتبطة بصفات الاجزاء الداخلة في تركيبه ، وانما هي تعود الى صيغته ، وما له من بنية داخلية تنظمه وتنتظمه على هذا الشكل او ذاك .

المهم هو تعيين طبيعة هذه الصيغة ، والتي هي شيء غير اجزائها ، كما ان صفاتها غير صفات الاجزاء .. وذلك لان (الصيغة) كل لا تعين الاجزاء خصائصه ، وانما خصائصها ككل شيء من طبيعتها الجوهرية ، كبنية واقعية منظمة .

ومن هنا اهتمام الجشطلتيين بواقع الحياة ، بغية النفاذ الى داخل الامور .. وبالتالي بحيثما هو موجود فعلا في الطبيعة .. وفي نظرهم ان فكرة تداعي المعاني فكرة مضللة ، وان الاستبطان غير كاف ، لانه يتصدى لاظهار الخبرة بدلا من السلوك ، وفي نظرهم ايضا ان الافعال المنعكسة ، المشروطة او المترابطة ، تظهر مدى التركيب الذي في سلوك ما .

المواقفيـة

ولا مراء ان التفسيرات المواقفية تفسيرات صيغية .. كما ان (علم نفس الموقف) هو اكثر فروع علم النفس العام توفيقا بين علم نفس الصيغة ، والسلوكية ، في اتجاه تكاملي ، وظيفي صريح .

وقد راينا كيف ان (كورت ليفن) يدرس السلوك دراسة هي في الاساس صيغية مواقفية ، فيعتبره نشاطا داخل مجال .. وكيف انه يعتبر (الانا) جزءا وظيفيا في المجال الكلي الذي للحياة(٦) .

ان (كورت ليفن) كما راينا يعتبر السلوك وظيفة الشخص وبيئته ، اي دالتهما ، وليس ثمرة التفاعل بين الشخص وبيئته كما يقول السلوكيون .. انه بعبارة اخرى يعالج كلية السلوك في التجربة الشخصية وما يحيط بها من ظروف معينة .

تضاف الى ذلك الاعتبارات الزمانية التي افسح (علم نفس الموقف) لها مكانا في دراساته ، عند دراسة

المواقف استنادا الى العوامل المؤثرة فيها في ظروف معينة ، ووقت معين .

وحقا لقد تباينت آراء علماء النفس المواقفيين بالنسبة للابعاد الزمانية ، الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، واثرها في السلوك ، والموقف ، والخبرة ، والقدرة النفسية ، ولكنا ذكرنا ان (كورت ليفن) يحرص في دراسة السلوك تبين الحوادث السابقة مباشرة عليه في موقف مـا ، او ايضا الحوادث المعاصرة له .

ومن ذلك ايضا اهتمام المواقفية بأرضية المنبهات ككل ، او لنقل اهتمامها بالجو العام كمجال ، او اتجاهها الى وصف التراكيب باعتبارها معطيات التجربة الشخصية ، او تفسير الظواهر النفسية بالنسبة للكل المواقفي للشخص في الحياة ، واظهار حركيتها ، ودلالاتها .

ان (المجال السلوكي) في نظر المواقفية مجـال طبيعي ، هو نفسه المجال النفسي ، كما سنرى بعد قليل ، اذ ان المواقفية تعتبره مناطق للقوى المختلفة ، المتنافرة منها او المتجاذبة ، فتدرس صلات (الأنا) به ، او صلاتها بسلوكها ، ومواقفها فيه ، والمؤثرات التي وراء ذلك كله .

الكل وخصائصه الطبيعية

(المجال) ، ككل ، ليس مجموع معطياته الجزئية .. انه صيغة طبيعية ، هي تنظيم يقوم بكليته ، ويتوازن وفـق بنيته الداخلية ، وبالتالي وفق امكانيات الاوضاع في وقت معـين .

بعبارة اخرى ، انه كل ذو خصائص تعود الـى طبيعته .. ومن هنا سيقول المواقفيون بالبديل المواقفي ، اي الظاهرة التي تقوم بديـلا لاخرى ، وتحقق التوازن الصيغي للمجال .

الملاحظة ان المواقفيين يتحدثون عن كلية المواقف ، او ايضا كلية المجالات ، ويقولون بموقف كلي ، وايضا مجال كلي ، كما يقولون بالصيغة الكلية ، او الوضع الكلي ، وهكذا دواليك .

والمواقفيون مثـل رواد علم نفس الصيغة يبداون بدراسة (المجال) ، وهم في ذلك يسوون بـين الوراثي والبيئي .. لان التفاعل مستمر بين ما هو فطري ، وما هو مكتسب ، ودراسة السلوك كما يظهر في المجال تتطلب تحديد شروطه في كليته ، دون التفرقة بين ما هو للفرد ، وما هو للمجتمع .

ان اثر المجتمع ، او لنقل البيئة على الشخص ، في نظرهم ، ليس مستقلا عن تراكيب المجال ، ولا عن اوضاع الشخص ، ومواقفه .. ومعنى هذا اننا منذ البداية امام الكائن الحي باعتباره جزءا من المجال . والذي بدوره يبدو تارة واخرى ثقافيا ، او تاريخيا ، او آنيا راهنا .

واما المسائل الناجمة عـن الكثرة ، او التعدد في المجال ، فانها مبدئيا ، ومنهجيا ، تستقطب (الوحدة) ؛ وذلك لان المواقفيين ، شأنهم في ذلـك شأن كثير مـن الواحديين يبحثون باستمرار عن الوحدة في الكثرة .

انهـم يكتفون بوصف المواقف العادية ، والاخرى البديلة كما قلنا ، باعتبار كل منها اوجها طبيعية للاوضاع ، وحركيتها ، ولكنهم لا يلجأون الى (الجدل) ، وقوة النفي ، من أجل تبرير هذه الوحدة(٧) .

ومن هنا كانت المواقفية ، مثل علم نفس الصيغة بنائية ، تقول بمضمون منظم ، تقربه في كليته ، ووحدته .. دون ان تتنكر لتحليل عناصره ، او اجزائه .

ان المواقفيين لا يتنكرون للتحليل ، رغم ان نزعتهم كلية ، ولذلك هم يعزلون العناصر ، والاجزاء ، ويحللونها داخل (الكل) .. وفي اعتقادهم ان الكلية هي في الوقت (وحدة) لبنيتها ، أيا كانت الاوضاع الراهنة ، ومظاهرها .

وهذا معناه ان العناصر ، والاجزاء موقفيا تدرس بالنسبة للكل ، والذي له صفة الوحدة البنائية .. خذ مثلا احوال النكوص ، او الانتماء ، او العمل الجماعي ، او ارتباطات الزعامة ، فان اوصاف العناصر ، والاجزاء لا تنفي خصائص صيغتها البنائية ، في الوقت الذي هي دائما تحت اثر هذه الصيغة ، والتي هي وحدة كلية منظمة ، لها مع هذه العناصر ، والاجزاء علاقات تعددية(٨) ...

المعادلـة المواقفيـة

كانت السلسلة السلوكية عند الارتباطيين ، والسلوكيين ، هي الارتباطات بين المنبه ، والاحساس ، وما يترتب على هذا الاحساس مـن رد فعل عند الكائن الحي ، بحيث تكون(٩) معادلة هذه السلسلة ، كالآتي :

منبه ـــ كائن حي ـــ استجابة

الا ان المواقفيين ، وانصار مذهب المجال قالوا ان الذي عندنا هو الكائن في مجال ، وبالتالي الموقف فيه ، بحيث لا يخرج (السلوك) عن المجال ، وانما هو جزء منه ، ومترتب عليه ، والمعادلة تصبح اذن :

موقف في مجال ما ـــ كائن حي في هذا المجال

وذلك لان (الموقف) ليس جزئيا ، ولا هو شيء مغلق على نفسه ، وانما هو جزء من كل ، ويدرس بالنسبة الى هذا الكل .. و (الاستجابة) هي اذن ، نتيجة ما يعتري المجال من تغيرات ، وبالتالي ما تكون عليه مواقف الشخص في هذا المجال .

ومن هنا يقرر المواقفيون ، ان (المجال) يتسع عادة لعدد من المواقف :

مجال ـــ موقف ١ و ٢ و ٣ و ٤ الخ ...

الامر الذي يعود في الاساس الى الشخص ظروفه وامكانياته ، ويكشف عن النزوع ، وايضا الجانبين الشعوري واللاشعوري عند هذا الشخص .

ولذلك عندما اخذ كورت لينن يحدد (السلوك) ، وجد اننا علينا الرجوع اولا الى اثر المنبه في الموقف ، بموجب المعادلة :

المنبه ـــ الموقف

وليس بموجب المعادلة السلوكية التي تجعل الاستجابة ثمرة المنبه :

المنبه ـــ (كائن حي) ـــ الاستجابة

وذلك لان نفس المنبه قد يثير مواقف مختلفة ، كما في المعادلة التالية :

منبه ـــ موقف ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ...

والمسالة من جديد تعود الى الشخص ظروفه وامكانياته ، وتبرز مكان المنبه في (النظام العام) لحساسية الشخص ، واستجاباته .

السلوك كدالة

كان (السلوك) هو ثمرة الاستجابة ، وبالتالي حصيلة المنبهات ، ولكن المواقفيين اعتبروا السلوك ثمرة الموقف ، بفعل ان (المنبه) قد يضيع اثره في الموقف الواحد ، او يعطي مواقف متعددة كما رأينا .

ومن هنا انصرفت عناية المواقفيين الى تبين (نظام المنبهات) ، واعتبار انه مترتب على حالة الشخص في مجال ما .. و (السلوك) في ذلك ، كما رأينا ، هو دالة الشخص وبيئته :

س = د (ش.ب)

وذلك لانه مظهر مواقف الشخص ، في ظروف معينة .

خذ مثلا الموقف الطبيعي ، او لنقل الحياتي والعادي للطفل في مجال معين .. انه مترتب على نمو هذا الطفل ، وطباعه ، وتصوراته ، ومعتقداته ، وصلاته الاجتماعية ، والجو العام الذي يعيش فيه .

ان عالم الاطفال في تغير مستمر ، كما انه يختلف في حيثياته وخصائصه من طفل الى آخر ، بحسب ظروف الطفل .. الامر الذي يعكس اثر المجال في الطفل وعالمه ، ويتطلب منا تحديد العوامل التي تتدخل في نمو الطفل وشعوريته .

ولكن عالم الكبار ، كما سنرى ، هو عالم اخذ وعطاء ، وتظهر فيه آثار الفرد ، نبوغه وايضا ارادته ، بحيث يكون التبادل بين الشخص والبيئة تبادلا وظيفيا ، كالآتي :

ب = د (ش) ، وش = د (ب)

مما يعود ، في الاساس ، الى الارتباطات النمطية الاجتماعية والتاريخية المختلفة .

المجال الحيوي

ومن حيث ان كلا من السلوك (س) ، والشخص (ش) ، والبيئة (ب) هي (متغيرات) ، يستطيع كل منها ان يأخذ اية قيمة ، دون أن تكون مستقلة بعضها عن بعض ، وانما هي باستمرار مرتبطة بكلية التجربة الشخصية في الحياة ، فقد اقترح (كورت لينن) ان تسمى المجموعة المنظمة للسلوك بالمجال الحيوي ، ومعادلتها كالآتي :

س = د (ش.ب) = د (مح)

اي ان السلوك مترتب على (المجال الحيوي) ، والذي هو الحياة ، بكل زخمها الشعوري واللاشعوري .

(المجال الحيوي) له بناء خاص ، اذ انه يحتوي على مناطق قوى ، ينشأ عنها التوتر ، والصراعات ، كما انه بدوره يؤثر في البناء الذي عليه ان يتبدل ، وفقا لعلاقات الشخص بهذه المناطق .

ان الانا ، كما قلنا ، لم تكن في البدء ، ولكن الانا هي جزء من المجال الحيوي ، اي من الحياة ، ومن هذا الاعتبار الزماني في المواقفية ، اي ربط التفسيرات بالمجال الراهن ، وايضا الموقف الراهن .

و (المجال الراهن) يصبح مجالا نفسيا يعين السلوك .. ومن حيث هو كذلك ، فان كل ما من طبيعته ان يؤثر في (السلوك) في وقت ما يجب ان يمثل في المجال ، كما هو في هذا الوقت بالذات ، وسبق ان شرحنا ذلك .

ان الوقائع التي من شأنها ان تؤثر في السلوك هي جزء من (المجال الراهن) ، وعلينا في تفسير السلوك ان ندخل في اعتبارنا الحاجات ، والنزعات ، والميول ، والاغراض ، كما قلنا ، كما نتفحص ابعاد الماضي ، والحاضر ، والمستقبل في تجربة الشخص ومواقفه ، باسقاط ذلك كله في المجال الراهن .

من مراح الصبا

انـت التي ايقظت في محبتـي ... وغدوت من كل الوجود رغيبتي
ماذا اقول وقد بدت لك صبوتي ... ملتاعـة في نظرتي او همستي
مـاذا اقول وفي الجوانح هيكل ... انشاته لـك من صفي مودتي
واقمت في محرابه لـك صورة ... عصماء تلهمني وتؤنس وحدتي
في هيكلي اتلو الذي قـد قلته ... واهيب بالماضي ليبعث نشوتي
واذا بطيفـك يستجيب للهفتي ... وأراه في وهمي يكفكف دمعتي
يا ما أحن الطيف لو ان التي ... بعثت به صدقت ، وداست شقوتي
القـاه يؤنسني ويهمس حانيـا ... متلطفا ، يـا ليته انـت التي
ماذا علـى يدك التي اشتاقها ... عند التحية لـو تحادث راحتي
جودي بعطف قد نسيت مذاقه ... الله في عوني وعـون صبابتي
جودي فان اضناك ملمس راحتي ... مما الـم بها وبي مـن حرقتي
فدعي التحيـة بالعيون رسالة ... وتقبلي عنـد اللقـاء رسالتي
ماذا اقول وقـد علمت بدايتي ... وعلمت من لغة العيون نهايتي

القاهرة

احمد عبد المجيد

وقائع المجال النفسي

المجال الراهن هو المجال النفسي ، كما قلنا ، وله خصائص عامة ، يجب تحديدها ككل ، عن طريق البحث في (الجو) الذي يعيش فيه الشخص ، هل هو متوتر ام مشاكس ، ام مسالم ام مسامح ، والتعرف الى (الحدود) والحواجز التي تقوم كعقبات في وجه الشخص ، وتحول دون تحقيقه اهدافه .

ان (المجال النفسي) ، كمجال راهن ، هو اذن حقائق واقعية ، او وقائع يمكن تحليلها علميا .. المهم ان نعرف الشروط الطبيعية ، والاجتماعية للموقف ، لانها هي التي تحدد مدى التغيرات التي تطرا على المجال الحيوي لكل شخص .

والموقف ، كما راينا ، لـه جانب طبيعي ، وآخر اجتماعي ، ولا يقل احدهما عن الآخر اهمية ، بحيث ان العوامل الطبيعية ، مثل العوامل الاجتماعية تعتبر حدودا تحد مدى تغير السلوك عند الشخص(١٠) .

واشكال السلوك ان هـي الا تغـير في اوضاع الشخص ، ولذلك يقرر (كورت ليفن) ان المعاني الاساسية التي لا بد منها لتصور المجال النفسي هي ثلاثة : القوة النفسية ، والوضع النفسي ، وامكانية الموقف ، وفي الاعداد القادمة نتابع البحث في ذلك ..

دمشق

عدنان بن ذريل

---

(١) ــ في حين ذهب (سبنسر) الى ان ــ الصدمة العصبية ــ هي العنصر النفسي البسيط ..

(٢) ــ علم النفس في مائة عام ، لفلوجيل ، ص ١٧٥ ، وسبق التنويه به ..

(٣) ــ ميادين علم النفس ، جـ ٢ ، ص ٩٧٦ .. وقد نوهنا به ..

(٤) ــ وفي راي (لاشلي) ان السلوكـي ينكـر الاحاسيس ، والتصورات ، وكل الظواهر الاخرى التي يحاول الذاتي الوصول اليها عن طريق الاستبطان ، انظر فلوجيل ، ص ١٧٧ ..

(٥) ــ في حين ترجم الى الفرنسية بفورم ، اي الصورة ، المصطلح الذي له تراث طويل في الفلسفة ، والعلم كافة ..

(٦) ــ انظر بحثنا الشخصية والموقف، في الاديب، عدد مايو ١٩٧٨ .

(٧) ــ وقد قال (التوسر) بالتحديد التعددي في اتجاه بنيوي مادي ، فجمد الجدل حتى كاد يهمله ، ولكن في اعتقادنا ان الاخذ بجدل التعدد هو الافضل ظواهريا ، وواقعيا ..

(٨) ــ وقد كتبنا العديد من الابحاث في علم الجمال ، والاسلوبية ، والنقد الادبي عن العلاقة التعددية وذاتيتها في النفي ..

(٩) ــ تجد في كتب علم النفس شروحا لهذه المعادلات ، ولكن وفاء للمنهج ، واجلالا للعلم نسجل اننا اعتمدنا هذه التحليلات على امالي استاذنا المرحوم (يوسف مراد) في الجامعة المصرية ..

(١٠) ــ بعبارة اخرى ، السلوك جزء من المجال الحيوي لانه نتيجة تركيبه في وقت معين ، انظر بحثنا السابق الذكر في الاديب الغراء ، والى اللقاء ..

الى روح شفيق معلوف

يوسف الحداد

*

ايها الغائب عن شط المنى   كي تعيد الغوص في بحر المنيه
لم يفت قاربك المنساب في   لجج التذكار : فجر وعشيه
خاليا من لؤلؤ نضدته   حمل أكتاف الرمال الذهبيه
كم حلى اعطيت حتى لم يعد   قيمة للبحر لو زاد العطيه
كم صدى ملحمة أبقيت من   ثروة الفكر ويسر الالمعيه
ولمن أوصيت بالكنز الذي   تعبت في جمعه الكف الثريه
ومن الوراث : روض مزهر   وربى خضر واقفار نديه
ربما اخفت رياح المنحنى   بين « ناديك » و « واديك » الوصيه

من كتاب « العبقرين » رأى   خاف ان تعمى ثكالى العبقريه
ندر الحرف الذي فيه بدا   غائبا عن ريشة السحر الخفيه
فيه كم اسطورة غامضة   حولتها دقة الوصف جليه
واسال الاوراق كم قبلتها   كي مرارا اقرأ الآي السنيه
كلما صافحني آخرها   عدت أتلو الكلمات الاوليه
فكأن الافق رسم في يدي   وأنا احصي الخطوط الافقيه
اخطىء العد فالوي راجعا   لحسابي بتأن ورويه

لا تقل جاء وصلى وبكى   مثلما تقضي دواوين البليه
ما بصوت الخاشع الجم الاسى   التقي ورد الشهور « المريميه »
لا دموع الحور بلت جانحي   لا سيول التل والوادي الاتيه
فيدي من كل عرس في القرى   حملت دفا ونقلا وهديه
زدت تابوتك نقرا فهو من   نوع اخشاب الدفوف الجبليه
وابتلى الاكفان لمسي فهي من   غزل منديل الفتاة القرويه
والى الاحجار كم عيني رنت   خلتها من تربة الارض القصيه
بعضها من كتف « الوادي » ومن   رأس « تل الشيخ » والريح البقيه
وعليها طابع الصخر الذي   هو في « لبنان » رمز الوطنيه
وقف الزهو بساحات الاسى   فالاسى في موقف الزهو غريبه
من راينا زينة الافق له   بغنى عن دمعة الارض السخيه

اين مني اليوم افق نير   بعد افلاك العشيات القصيه
ليمد غيري فتى الخلد بما   هل من ضوء القباب السرمديه
فخلودي نجمة قد لمعت   في فضاء « العصبة الاندلسيه »
يوم لا « فرخ سحاب » في الفلا   زقمت غيري مصابيح البريه

لـك ربي كيف جـزت الوعر لا　　عثـرة صادفت لا ارضـا قسيه
مهـد الدرب فقـد آتـي غـدا　　حامـلا اثقـال عمـي الطائفيه
و « أمين » يوم جاب القفر كـم　　ود لو كان « شفيق » في المعيه
فطـوى مرحلـة ، مرحلـة　　دربـه يفتقـد الـروح الوفيـه
واذ الركـب خـلا منهـا فـلا　　ملكـا حيـا ، ولا ناجى حظيه
مـن رجا في العمر شيئا ربمـا　　في حمى الموت يرى تلك الرجيه
فمضـى كـل الـى جنتـه ،　　بالشذى لا بالقواريـر الشذيـه
لا « ليالي الرقمتين » احتجبـت　　لا مغاني « عبقر » اضحت قصيه
حبـذا لـو كـان حظـي منهما　　حظ هدب العين من عرف الحنيه
وباطزانهمـا مهمـا اجـد　　ابـق في الكون القليـل الاريحيه
بقـي الزاد الذي غـذى الرؤى　　مـذ نمـا حقل علومي النظريه
من لها في « جبل الباروك » مـا　　لـي « بوادي زحلة » ظلت فتيه
زوض عمري مقعـد مـن خشب　　لـم تفارقـه ظلالـي المدرسيه

سـل اخـا الدرس نقـولا هـل سلا مـا نظمنـا في العقود الاخويه
اثمـن الـدر واعلى مـا قنـى　　مـن حلى الدهر : غنـي وغنيه
همـزة الوصل شعاري في النوى　　لا « ضمير الشان » لا « واو المعيه » .

ايهـا الطاوي شبـاك الصيد في　　ساحل المرجان عـن حسن طويه
قـل لتمسـاح « الامازون » اذا　　لـم يعد يلقاك بالنفس الرضيه
صائد « العنقاء » و « الرخ » مضى　　حيث مـن سربيهما ظلت بقيـه
ربمـا لان لـمدح قلتـه　　في فتـى « لارا » فـود البشريه
مـن الـى جنيـة البحر رنـا　　وهـو يلهـو بالمجاذيف العصيه
وبانفـاس المناجـاة يقـي　　طرفه الساجي مـن الريح العتيه
لـو « بلارا » قـال شعرا ثانيا　　لاستحالت قطـرة المـاء خليـه
لـو محا بيتا من الوصف الذي　　غمـر الدنيا لساءت كـل نيـه
هـل ترى مـذ نظم الدر لهـا　　قـام في صقـل المرايـا العلويه
فـاذا في عالـم الفتـح لـه　　شهـرة النصر بحـرب عالميـه
كيـف لـو حـدث كاسي عريها　　عـن عباءات الحريـر العربيـه
لولهـا وشـى بـرودا غـيره　　ظـل بين الخلق مجهول الهويه

ايـن « لارا » اليوم مـن فاتنها　　ايـن أعـراس الميـاه الازليـه
ان في اغنيـة البحـار لا　　في صراخ المـوج ذكراها الشجيه
كلمـا غطـى بـرسم كـوة　　نفـذت منهـا الريـاح العنبريه
او طـوى اشرعـة خفاقـة　　حجبـت عنـه الستـور المخمليه
وتـوارى ناظـر البحـر فهـل　　غـر عينيـه خضـم الابديـه
واختفـت « لارا » فهـل قدمهـا　　ملـك الجـن لانسـي ضحيـه
ان مـن حـام علـى موردهـا　　جـاز اغـوار الشطوط الزمنيه
قلمـا فاتـه يومـا نظيـرة　　عبـر احواض النهـور الكوثريه
او حديـث عـن هـوى واردة　　عاش في ظـل الجـرار الاثريه
لا تسـل كـم مـرة ذكرنـي　　وهو يروي قصص الظماى الشهيه
« بالمسيح » الواقف الصادي على　　« بئر يعقوب » ولقيـا السامريه
وهـو بعض المـاء منهـا يبتغي　　وهـي تسخـو ... البابليـه
لـم يـرو الفـل مـن جرتهـا　　حـين صبت قطرة الدمع النقيه
فكـان الهـدب والعـين على　　طـرق الوراد : حبـل وركيـه

لـم تفـادر غيمـة الفصل ولا   ريحهـا جـو فقيـد الشاعريـه
هـل حلت ذكراه حتى لـم نعد   في الورى نلقـى نسيا او نسيه
هـل حـدا الركب لنجواه فلـم   يخـل قفـر مـن نجي او نجيه
هـل خلا مـن حمل هـم فاذا   عالـم الشجو : خلـي وخليـه
هـل بمن زار احتفى حتى ابى   ان يـرى غـير حفـي وحفيـه
هـل ابى ان يصف الحرب فما   ظـل في الساح كمـي او كميه
هـل رعى الفطنة حتى عـز ان   نجـد اليـوم غبيـا او غبيـه
هـل ترى احيـا المروّات فلـم   تفتقـد ارض سريـا او سريـه

انسال الراني الـى اللهو علـى   ضفـة النهر بـلا رشق حصيه
اين مـن ينثر عقد الشمس ان   زاد لعبـا بالحصى قلـب صبيه
وهـي في الظـن حلـى باقيـة   من هوى «قيس» و «ليلى» العامريه
يـوم راعي البهم لا بهـم رعى   انمـا رواد ارضـ الجاهليـه
كلمـا جرحـا تذكـارا راى   في حمى الباكي علـى فقد الحميه
او اذا ضـل عـن الدار التي   اسعدت صاحبها النفس الشقيـه
او اذا كسـر خبـاء عثـرت   فيـه من يهوى فلم ينس الانيه
او اذا مـن ربع « ليلى » حملت   نسمـة رائحـة المسك الذكيـه
او اذا مـر باتـراب لهـا   فابتلـى اليبس الافانين الطريـه
او اذا يومـا ابـى الزجر فلـم   تعجـم العود الاصابيع القويـه
او اذا حيـاه صـب والـه   وهـو لا يقوى علـى رد التحيه
او اذا بـان عجـي لـم يعـد   يلتقـي في مـورد الابـل عجيه
او اذا عادت بـه الذكرى الـى   مـن قنى الخيل ولم يسرج مطيه
وارتضى المشي على غـير هدى   في ليالي الوهـم واليأس الدجيه
او اذا حـن ولا شـيء ابتغـى   غـير ردع النفس عن كـل بغيه
او اذا اغمـض عينيـه لكـي   لا يـرى غـير الاسارير البهيه

قـل لمـن يستنبـط الالات مـا   هـو بالآلـة سـر المدنيـه
لو خلا من نسمة الشعر الورى   لـم تغب عنا العصور الحجريه
كـم لـذات لـم يقيموا نصبـا   وهـي بالانصاب كـم تبدو حريه
يـوم تمثالين في « الوادي » ارى   يعرض « التـل » رسومي الفلكيه
والتماثيـل التـي ترفـع مـن   دون خفض الراس اشياء زرينـه
واذا للرسم لـم يضحـك فـم   خف وزن الدمع في العين البكيه

ايهـا الناسج مـن غزل الاسى   لـك ثوبـا كـل صبح وعشيه
لا تقـف الا علـى قبري غـدا   لترى كيـف وهى حبـل الرزيه
في يـد مـا صافحت غيري بلا   هـز اعـواد القنـا والسمهريه
قلمـا تبلغـه الريـح التـي   حملت طيبـا مـن الارض الزكيه
او علـى كتفيـه تلقـي حملهـا   غيمة ضلت عـن الدرب السويه
او يوافيـه بلحـن بلبـل   نفض المنقار في الـدور الخليـه
لـو قضى بالصد عنه اليوم من   ود قلبي ظل لـي كسب القضيه
سل غدا عـن جبل الكحل اذا   ما اطار العصف من عظمي شظيه

كراكاس ـــ فنزويلا   **يوسف الحداد**

اول كتاب عربي طبع - القرآن الكريم متى طبع ومتى ترجمت معانيه

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

اول كتاب عربي على الاطلاق اخرجته المطابع

يدور هذا البحث حول اول كتاب عربي اخرجته المطابع ، اي حول الطباعة العربية في المهد ، اي في بدء ظهورها .

لا يهمنا هنا ان نبحث باستفاضة في تاريخ ظهور الطباعة في الغرب ، ولا على يد من تم هذا الكشف العلمي الذي جاء ظهوره انقلابا جذريا في امور الفكر وتطور الثقافة والتعليم والمدرسة . والثابت علميا وتاريخيا ان فن الطباعة ظهر في الغرب على يد فريق من الفنانين يتمثل في هذا الثالوث الذي تألف من يوحنا غوتنبرغ ، وهو اشهرهم وفوست وشوفر . فالاختراع الماني الاصل والمبدأ من حيث مخترعوه والتربة التي تم فيها .

والثابت تاريخيا ان اول كتاب اخرجته المطبعة هو التوراة المعروفة بتوراة الـ ٤٢ سطرا للصفحة ، جاءت معها التوراة المطبوعة بكاملها في مجلدين ضخمين من القطع الكبير المعروف بحجم In-folio بلغة الطباعة يقعان معا في ١٣٠٠ صفحة . باشر غوتنبرغ بطبعها في مطلع عام ١٤٥٢ وفرغ منها قبل الرابع والعشرين من شهر آب ١٤٥٦ .

وتعرف طبعة التوراة هذه ايضا بالتوراة المازارينية للعثور على اول نسخة منها في مكتبة الكاردينال مازارين الوزير الداهية الذي خلف الوزير الكردينال ريشوليو وزيرا للملك لويس الرابع عشر في الفترة التي سبقت رأسا توليه مسؤوليات الحكم والعرش مباشرة ، اي في هذه الفترة الواقعة بين ١٦٤٣ — ١٦٦١ .

لا يزال يوجد من طبعة غوتنبرغ الاولى للتوراة ١٧ نسخة كاملة من اصل ١٢٠ نسخة التي تألفت منها الطبعة الاولى . والنسخة من هذه الطبعة اليوم غالية الثمن جدا بحيث اذا اتفق وعرضت منها نسخة للبيع بيعت بأغلى الاسعار . فقد بيعت منها نسخة بالمزاد العلني في لندن عام ١٨٩٧ بـ ٤٠٠٠ ليرة استرلينية ؛ كما ان احد الاثرياء الاميركيين توصل عام ١٩٢٦ الى شراء نسخة بمبلغ ١٢٠ الف دولار ، اشتراها من دير « ملك » في النمسا وقدمها هدية لمكتبة جامعة يايل في نيو هايفن في اميركا .

يحق لنا بعد هذا ان نتساءل هنا معا ما هو اول كتاب عربي اخرجته المطابع واين كان ذلك وعلى يد من انجز هذا العمل يا ترى ؟

من الثابت تاريخيا ان اول ابجدية عربية كاملة ظهرت مطبوعة في كتاب من كتب الرحلات وضعه برنارد دي برايدنبرغ باللاتينية وصف فيه رحلة له الى الاراضي المقدسة بفلسطين ، بعنوان : « رحلة الى ما وراء البحار لزيارة القبر المقدس في مدينة القدس » وقد رافقت هذه الابجدية ، طريقة النطق بها في حروف لاتينية ، وكان في الكتاب خريطة مدينة القدس .

وكان لا بد من انتظار ست سنوات بعد ذلك حتى تدعو الحاجة الى طبع كتاب عربي في اوروبا . فقد تم على يد الملكين فردينان وايزابيل فتح مدينة غرناطة عام ١٤٩٢ وراحا يعملان على ردة المسلمين الاندلسيين الى الدين المسيحي فكلفا جماعة من المبشرين القيام برسالة التبشير بين السكان . وسرعان ما بدت الحاجة الى استعمال اللغة العربية لبلوغ هذه الاهداف . فكلف مطران غرناطة الجديد رجلا من مدينة سلامنكا الجامعية ان يطبع له كتابين وضعا للمبشرين الذين يجهلون اللغة العربية . فصدرا في غرناطة احدهما في ٢/٢/١٥٠٥ والثاني في السنة نفسها . وكان عنوان الاول : « وسائل تعلم اللغة العربية ومعرفتها » — وعنوان الثاني : « معجم عربي بحروف اسبانية او قشتالية » . وكانت الصفحات الاحدى والعشرين الاولى من الكتاب الاول تدور على قواعد اللغة العربية والصرف والنحو ، كما كانت الصفحات السبع والعشرون التالية تشتمل على صلوات كاثوليكية باللغة العربية وصلوات القداس بالعربية . ومن صفات هذا الكتاب انه يكون اول محاولة لنقل الحروف العربية الى حروف اوروبية ، اما الابجدية الواردة على ظهر الورقة العشرين فهي الابجدية الافريقية .

منذ سنة ١٤٨٨ اهتم المستشرق الايطالي الاب اوغستينوس غويستنياني بنشر الكتب المقدسة بالعربية والكلدانية والعبرانية واللاتينية ، ولما رقاه البابا ليون العاشر ، في شهر آب ١٥١٦ ، مطرانا على ابرشية مدينة نبيو ، اهدى غويستنياني الى قداسته كتاب المزامير المطبوع بخمس لغات اساسية هي العربية والكلدانية واليونانية واللاتينية والعبرية . وكتب غويستنياني اهداءه الى البابا باللغات الخمس جميعا . وقد تم طبع هذا الكتاب على يد بيير بول بوروس في شهر ايلول من تلك السنة .

الا انه كان صدر في ١٢ ايلول ١٥١٤ في مدينة فانو كتاب بقطع الثمن ما زال يعد حتى اليوم ، في نظر بعض

المستشرقين ، المطبوعة العربية الاولى ، تولى طبعه طابع من البندقية اسمه غريغوريوس غريغوري : بمساعدة البابا يوليوس الثاني . والكتاب المذكور هو Horlogion المعروف في الكنيسة الشرقية بكتاب السواعية في ١٢٠ صفحة غير مرقومة وفي كل صفحة ١٢ سطرا وفي الكتاب صلوات الطقس الملكي .

وفي سنة ١٥٣٨ اصدر غليوم بوتيل في باريس كتاب الصرف والنحو العربيين . اما العربية الاصلية فقد استعملت في كتاب : « اعتقاد الامانة الارثوذكسية » الصادر من معهد اليسوعيين سنة ١٥٦٦ — اما تحفة الطباعة العربية في القرن السادس عشر فهي دون منازع ، كتاب الانجيل المطبوع سنة ١٥٩١ بمطبعة آل مدتشي . وهذا الكتاب هو اول مطبوع عربي مصور . وبعد ذلك بسنتين اي في سنة ١٥٩٣ صدر باللغة العربية كتاب القانون في الطب لابن سينا . فكان هذا اول كتاب عربي ضخم جرى طبعه في العالم ومن هذه الطبعة كان يوجد نسختان في دار الكتب اللبنانية ابتعنا احداهما لحساب الدار من المرحوم الشيخ حرب الخازن من بلدة بلونة . فهل تزالان ؟ يا ترى في دار الكتب اللبنانية وبحالة مرضية ؟ فما هي صحتها فيها الآن واي حال هو حالهما اليوم ؟

هذا بعض ما نعرف من امر الطباعة العربية الاولى ، في عهد كان فن الطباعة لا يزال بعد في المهد ، ولهذا نطلق على بواكير الطباعة ، سواء اكانت غربية افرنجية او عربية ، اسم « المهديات » .

متى طبع القرآن الكريم لاول مرة واين ؟

رأينا فيما تقدم كيف تم اختراع الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر ، على يد غوتنبرغ كما هو شائع وفريق ممن تعاونوا معه على تطوير هذا الاختراع ، والكتاب الاول الذي اخرجه وهو التوراة المعروفة بتوراة الاثنين والاربعين سطرا في الصفحة الواحدة او التوراة المازارينية .

كذلك نوهنا باول كتاب عربي اخرجته المطبعة بعد اكتشافها وذلك سنة ١٥١٤ ، وهو الكتاب المعروف بالهورولوجيون او السواعية .

اي متى طبع القرآن الكريم لاول مرة بالحرف العربي؛ واين تم ذلك ، وعلى يد من يا ترى ؟

نزل القرآن الكريم على الرسول العربي محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) فتلقفته اذهان المسلمين ووعته الصحابة في الصدور الى ان جاء ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان بجمعه من حملته والمواد المختلفة التي كتب عليها ، خوفا من ضياعه بضياعها او بموت حملته من الرجال مع حروب الفتح . وبذلك حفظ القرآن من الضياع واخذ المسلمون يعملون على استنساخه والاكثار من نسخه وفقا للصورة التي استقر عليها مع الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

الثابت تاريخيا ان القرآن الكريم طبع بحرفه العربي الاصيل في الغرب قبل ان يطبع في اي بلد اسلامي ، وذلك بنحو مائتين وخمسين سنة على اقدم طبعة ظهرت منه في الشرق الاسلامي . فمن قام بهذه المهمة يا ترى ؟ واين تمت طبعة القرآن الاولى ؟ ومتى حصل ذلك ؟ — اسئلة محرجة ترتسم على الشفاه كان من الصعب الاجابة عليها ببرهان ودليل . وبعد ان احرجتني هذه الاسئلة رحت بدوري اطرحها على الكثيرين من الراسخين في العلم من علماء الاسلام في هذا البلد وعلى عدد من اساتذة الجامعات في بيروت لعلي احظى منهم بما يفيد ، فلم اظفر بطائل . فرحت ابحث عن هذا الامر في هذه الابحاث المستفيضة التي عقدتها الموسوعات العالمية الكبرى : كدائرة المعارف البريطانية والاميركية ، والموسوعة الايطالية ، ودائرة المعارف الاسلامية ، لكلمة قرآن او لتاريخ الطباعة ، فلم استفد شيئا فيه بصيص نور . فرأيت أن اعود الى الكتب التي تبحث في تاريخ الطباعة في الغرب وتطورها عبر الاجيال فلعل فيها الخبر المرتجى والجواب الشافي والخبر اليقين . وبالفعل فقد عثرت في احد هذه الكتب وهو للمؤرخ الانكليزي ستاينبرغ وعنوانه « الطباعة في خلال خمسمائة سنة » فقرة حملت الي بصيصا من النور واضاءت امامي السبيل ، فقد جاء في الصفحة ٥٠ ما ترجمته بالنص الواحد : « وفي سنة ١٥٤١ قام يوهانس اوبورينوس بطبع ترجمة لمعاني القرآن الى اللاتينية في مدينة بال في سويسرا كان لا بد من تدخل لوثر نفسه للتغلب على موقف المجلس البلدي العدائي الذي اخذ يعارض طبع هذا الكتاب لما يمثله من خطر . فدعاه لوثر للتساهل بهذا الشأن ولا ان يحذو حذو السلطة الكنسية التي امرت باحراق طبعة القرآن بالحرف العربي التي تمت في مدينة البندقية منذ بضع سنوات . وقد راح لوثر من جهة اخرى يلون بما يجلبه التعرف على القرآن من مجد للسيد المسيح وخير للمسيحية وضر للمسلمين واغاظة للشيطان » .

وهكذا صدرت الترجمة اللاتينية لمعاني القرآن عام ١٥٤٢ ، تحمل مقدمتين احداهما للوثر نفسه والاخرى لمساعده الايمن ميلنكتن احد كبار حملة الثقافة العالية في ذلك العصر .

وذكر هذه الطبعة العربية للقرآن المفهرس الهولندي المشهور اربانيوس وذلك في الصفحة ٨ من الفهرس الذي اعده للكتب العربية ، والذي ظهر في ليدن عام ١٦٢٠ ، ويشير ان طباعة القرآن هذه تمت في البندقية في مطبعة بغانينو دي بغانيني سنة ١٥٣٢ ، واضاف قائلا ان كل نسخ هذه الطبعة قد احرقت بعد ان صدر الامر باحراقها .

وقد ذكر هذه الطبعة العربية الاولى للقرآن ، المفهرس الالماني شنورر ، في كتابه الذي صدر باللاتينية عام ١٨١١ بعنوان « المكتبة العربية » ، وهو فهرس استعرض فيه

اسماء الكتب العربية التي طبعت في اوروبا حتى تاريخ صدور كتابه هذا .

وقد نوهت المستشرقة الايطالية اولغا بنتو في كتابها المعنون : « المؤلفات الايطالية في الاسلاميات » بهذه الطبعة الاولى للقرآن .

ويرى بعض مؤرخي الطباعة وتطورها في الغرب ان هنالك طبعة للقرآن اقدم من الطبعة السابقة . فاسمع ما قالته المستشرقة الايطالية المذكورة نورده بالحرف الواحد : « للطباعة العربية في ايطاليا تاريخ مجيد طويل الامد ، انها قامت في القرن السادس عشر فتطورت بفضل عناية بعض رجال الكنيسة ونبراء العلم ... واول كتاب في العالم ، طبع بالعربية ، ولم تصل الينا ، ويا للاسف ، حتى نسخة واحدة منه ، كان للقرآن الكريم ، لقد صدر في البندقية من مطبعة باغانينو باغانيني الذائعة الصيت ، كما جاء خبر ذلك في شهادة ترجع الى سنة ١٤٩٩ ، وقيل انه صدر في فترة ما بين ١٥٠٩ — ١٥٣٨ » .

وهكذا نرى ان القرآن الكريم طبع في الغرب قبل ان يطبع في الشرق بأكثر من مائتين وخمسين سنة ، وانه كان اول كتاب عربي كبير طبع في اوروبا . وهذا التأكيد انما يعني انه تم حفر امهات للحروف العربية وجرى سكبها في مسابك خاصة ، وانه كان بين الطباعين والعاملين في صف الاحرف ، من يحسن قراءة العربية .

تراجم معاني القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية

كان القرآن الكريم اول كتاب عربي كبير اخرجته المطابع في اوروبا لاول مرة وان طبعته الكاملة تمت سنة ١٥٣٢ ، في مدينة البندقية وذلك ٢٥٠ سنة قبل اول طبعة عربية ظهرت لـه في بلد اسلامي على الاطلاق او في الشرق الاسلامي .

واود ان نستعرض معا الآن تراجم معاني القرآن الاعجمية . من المعروف ان للقرآن الكريم اكثر من مائة ترجمة الى اللغات الاجنبية اتى على تبيان معظمها المستشرق البلجيكي المرحوم فكتور شوفين في كتابه المعنون : « فهرس الكتب العربية او المؤلفة عن العرب » التي ظهرت في اوروبا من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٨٥ ؛ وذلك في الصفحة ٦٧ وما اليها من المجلد العاشر من فهرسه المذكور هذا ، كما نوهت بذلك مجلة الهلال في مقال لها صدر في المجلد ٤٨ (١٩٤٠) ص ٣٤٣ — ٣٤٩(١) .

كذلك استعرض لاهم ترجمات معاني القرآن الكريم الى معظم اللغات الاوروبية ، المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير في كتابه المعنون : « المدخل الى القرآن » وذلك من الصفحة ٢٦٤ — ٢٧٧ ، وقد ضمن كتابه هذا دراسات مفيدة حول القرآن الكريم ونزوله ، وجمعه واصوله . وسوره وتفسيره ، وترجماته الى اللغات الاجنبية ، وغير ذلك من المباحث الدقيقة التي تساعد القارىء على تفهم القرآن .

والثابت ان اول ترجمة لمعاني القرآن الى اللاتينية هي التي تمت تحت تأثير رئيس دير كلوني : بيير المحترم (١٠٩٢ — ١١٥٦) . فبعد ان قام برحلة الى اسبانيا بين سنة (١١٤١ — ١١٤٣) وبمساعدة ريموند التوليدي ، كما هو مظنون ، الف لجنة يرأسها روبرت ده ريتنس الذي كان برتبة رئيس الشمامسة بمدينة بمبلونا يساعده راهب دالماتي يدعى هرمانوس ، كلاهما متضلع في اللاتينية والعربية . اما المترجم الحقيقي فقد كان بيير التوليدي . وهو من المرتدين ، كما يظن بعضهم الذي لم يكن يحسن اللاتينية احسانه العربية . وهذا ما حمل بيير المحترم ليعين معه مساعدا متضلعا باللاتينية من رهبان كلوني ايضا والذي عهد اليه بمراجعة النص المترجم .

وهذه الترجمة (التي ارسلت بعد انجازها عام ١١٤٣ لرئيس دير كلوني العام برنردوس) سبقت الحملة الصليبية الثانية بأربع سنوات ، ومما لا شك فيه انه وضع منها نسخ عديدة لاستعمال المرسلين والمبشرين وعلماء اللاهوت .

وقد اشار المفهرس الالماني المشهور شنولر الى هذه الترجمة في الصفحة ٢٢١ — ٢٢٧ من الفهرس الذي وضعه بعنوان : « المكتبة العربية » . كذلك اشار اليها المفهرس الالماني الآخر بنالمولر في الصفحة ٢١٣ ، وبقيت اوروبا المسيحية تستعمل هذه الترجمة وتعول عليها مدة ٤ قرون . وهذه الترجمة بالذات هي التي نشرها العالم السويسري بوشمان بلياندر في مدينة بال ، عام ١٥٤٢ كما اشرنا الى ذلك في حديثنا عن طبعة القرآن العربية الاولى في العالم .

وقد تمت طبعة ثانية لهذه الترجمة عام ١٥٥٠ .

واتخذت هذه الترجمة تكأة لاقدم التراجم التي نعرفها لمعاني القرآن الكريم الى اللغات الايطالية والالمانية والهولاندية .

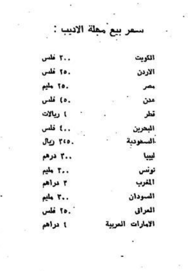
وقد قام لدفيكو مراكشي بترجمة جديدة لمعاني القرآن ظهرت في مدينة بادوا في ايطاليا عام ١٦٩٨ ، وقد حوت الاصل العربي والترجمة اللاتينية واصلاح الغلط وتعدد احسن وادق ترجمة للقرآن ظهرت في ذلك العصر . ومنذ ذلك العهد لم تنقطع سلسلة تراجم القرآن الكريم الى اللغات الغربية . وهنالك اسباب عديدة تدعونا للاعتقاد بأن الكتاب الذي نشره العالم الايطالي اندريا اريفابانيه عام ١٥٤٧ بعنوان L'Alcorano de Macometto ليس سوى ترجمة الى الايطالية للترجمة اللاتينية التي قام بها روبرت رتينس . وهذه الترجمة اللاتينية بالذات ، هي التي نقلت الى الالمانية وطبعت في نورمبرغ عام ١٦١٦ وهي

(١) من بين هذه الترجمات : ١٠ ترجمات مختلفة الى الانكليزية ، مثلا ، و ٧ فرنسية — و ١٢ الى الالمانية و ٢ الى اللاتينية — و ٨ ايطالية — و ٥ اسبانية — و ٥ هولاندية — و ٢ عبرية — و ٢ ارمنية .

نفسها نقلت الى الهولندية في همبورغ وطبعت فيها عام ١٦٤٧ .

اما ترجمة معاني القرآن الاولى الى الفرنسية فقد تمت على يد الفرنسي اندريه ده رييه (١٥٨٠ — ١٦٦٠) بعد ان اخذ على نفسه نشر القرآن في اوروبا والتعريف به . فهو فرنسي من مقاطعة بورغونيا ، عمل قنصلا لبلاده في مصر ، وفي سنة ١٦٣٠ غادر مصر الى القسطنطينية ؛ فتفرغ فيها لدرس التركية ، ونشر اجرومية تركية واعد قاموسا بالتركية واللاتينية لم يطبع . اما ترجمته لمعاني القرآن الى الفرنسية فقد ظهرت عام ١٦٤٧ في باريس بعنوان : « قرآن محمد » ، فتقبل الملأ هذه الطبعة بالترحاب الشديد لرغبة الناس واهتمامهم بالتعرف الى الاسلام اذ كانوا يجهلون كل شيء عنه . وقد اعيد طبعها ٥ مرات في خلال خمس سنوات ، وتمت هذه الطبعات في باريس وفي امستردام . وهذه الترجمة الفرنسية ترجمت بدورها الى الانكليزية سنة ١٦٨٨ ، والى الهولاندية عام ١٦٩٨ ، والى الالمانية نقلا عن الترجمة الهولاندية . وقد تكررت طبعات هذه الترجمة الفرنسية خلال قرن في فرنسا وانكلترا وهولندا . وآخر طبعة منها هي التي ظهرت عام ١٧٧٠ .

كان من نتائج هذه الترجمات لمعاني القرآن الى مختلف اللغات الاوروبية ان ساعدت كثيرا الرأي العام في الغرب على تفهم الاسلام ، فخفت بالتالي تهجمات المتهجمين عليه ؛



سعر بيع مجلة الاديب :

الكويت	٢٠٠ فلس
الاردن	٢٥٠ فلس
مصر	٢٥٠ مليم
عدن	٤٥٠ فلس
قطر	٤ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
السعودية	٢،٥٠ ريال
ليبيا	٢٠٠ درهم
تونس	٢٠٠ مليم
المغرب	٣ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم
العراق	٢٥٠ فلس
الامارات العربية	٤ دراهم

كما قلت حملة المفترين عليه والمشنعين عليه بأشنع القول والشوائع حتى اننا رأينا الكونت Boulainvillièr يتصدى للشانئين والمشنعين كما يتبرع كثيرون من بين الفرنسيين للدفاع عن الاسلام . وفي هذه الغضون بالذات تظهر الطبعة الانكليزية لمعاني القرآن التي اعدها جورج سال ونشرها عام ١٧٣٤ والتي نالت ترحيبا حارا لدى الجمهور كما تشهد على ذلك الطبعات العديدة التي ظهرت لها والترجمات التي نقلتها الى الفرنسية والالمانية .

ويجب ان نذكر هنا ان المسلمين من غير العرب ، ممن لا يفقهون العربية ، شعروا منذ امد بعيد بحاجتهم هم ايضا الى ترجمة لمعاني القرآن للغاتهم القومية . فكان ان ظهرت تراجم للقرآن الى اللغات الفارسية والتركية والهندستانية والجودشراتية والبنجابية والسندية والبنغالية والتاميلية ولغة الباشتو ولغة اهل الملايو والصينية ، كما ظهرت تراجم ببعض اللغات الافريقية .

ان ترجمة معاني القرآن الى لغة اجنبية ليس بالامر الهين . فاسمع ما يقوله بهذا الصدد المستشرق الالماني ا. فيشر : « لا يداخل الذين تعمقوا باسرار العربية شك في انه لا يوجد بين تراجم القرآن سواء اكانت كاملة او هي قاصرة على بعض آيات منه — ترجمة تفي بالمطالب اللغوية الدقيقة » .

وللمستشرق شوالي راي قريب من هذا اذ يقول : « رغم الخطوات الكثيرة التي اجتازتها حركة ترجمة القرآن منذ جورج سال ، لا توجد حتى اليوم ترجمة له تثبت امام النقد العلمي وامام التفسير » .

فلا عجب والحالة هذه ان يتنحى عن هذا المطلب ، مطلب ترجمة معاني القرآن ، اشهر المستعربين من علماء الاستشراق امثال : ريسكه ، وساسي ، وفليشر ، ودى غويه ، ونولدكه ، وغولدزيهر وغيرهم لاسباب منها على الاقل ادراكهم كبير صعوباتها .

ولذا كان لا بد من ايجاد ترجمة للقرآن تكون صالحة للاستعمال ويصح الاعتماد عليها ، وهذا ما حدا بالمرحوم الشيخ مصطفى المراغي ، شيخ الازهر المعروف بنزعته الاصلاحية ومسايرته روح العصر ان راح يقترح تحقيق مثل هذه الترجمة ، وايده علماء الازهر في الفتوى التي اصدروها عام ١٩٣٦ بهذا الاقتراح حتى ان وزارة المعارف المصرية اخذت اذ ذاك بدرس هذا الموضوع .

وقد ثار اقتراح الشيخ المراغي ، اذ ذاك جدلا قويا بين علماء المسلمين في مصر ، فنشرت مجلة الازهر عددا من هذه الابحاث حول ترجمة القرآن الى اللغات الاجنبية في اعدادها الصادرة سنة ١٩٣٦ . فليعد اليها من يرغب في التوسع بهذا الموضوع . ففي ما اوردنا وذكرنا من ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية كفاية لمن يرغب في الاطلاع على بعض المحاولات التي تمت للآن .

يوسف أسعد داغر

الشوق العائد

*

تغيب حتى قلت ليس بعائد ... فمن قاده نحوي ؟ وكان مباعدي
آحين اطمأنت بالجنوب مضاجع ... اتى يوقظ الاجفان من كل هاجد
وكنا استرحنا من دواهيه حقبة ... وقلنا مضى عهد الحسان الخرائد
وهمنا باسرار الطبيعة نبتغي ... عزاء بها عن كل عذراء ناهد
نراقب في الآراد رائعة الضحى ... وننشد في الظلماء سحر الفراقد
ونرتاد ابهاء الجمال طوائفا ... فمن صادر نحو الرياض ووارد
الى أن سمعنا رنة فارسية ... لشاعرة تبكي باشجى القصائد
مطوقة ورقاء ترسل في الربى ... من البث ما يفري صلاب الجلامد
تسمعت الاغصان دامي لحنها ... فثارت بايدي الريح ثورة واجد
وغيض معنى الشجو فيض اخضرارها ... فباتت بمراى شاحب الظل كامد
فلا تحسب الطل المرقوق فوقها ... ندى انه دمع الحزين المكابد
تسمعت ما قالت فالفيت خطبها ... كخطبي ، كلانا في الورى غير صامد
بلى انها احلى وابدع خاطرا ... والطف حسا في اصطياد الفرائد
وتملك وجدانا رقيقا يمدها ... بازهى خيال مونق الوشي راغد
اتصفي ؟ فهذا الشهد من نبراتها ... تنيقك موسيقاه اشهى الموارد
بنا من هواه صبوة بدوية ... كان الهوى النجدي ليس ببائد
اتتلو ؟ فهذا الصدق في لفتاتها ... له من صفاء الطبع اقوى الشواهد
وتعتادها ذكرى القرين فترتمي ... بجسم على ظهر الحشية هامد
وتذرو على الورد النضير لآلئا ... من الدمع ليست من جمان الفرائد
فيكتئب الفل الانيق بثغرها ... على سحره الفتان بين النواهد
وتعبس للدنيا فيبدو جمالها ... مع الحزن في أوج من الحسن صاعد
جمال تغشيه الشجون جلالة ... فيربو بهاء في عيون الحواسد
فان هدأت فاءت لظل من الهدى ... ولاذت برب العرش عبر المواجد
واقرا ما تحكيه وحيا مسلسلا ... فامنحه وجد الصفي المساند
اخالك قلبي قد تورطت مرغما ... فارقلت في وادي الهوى غير عامد
وما لك حول تستعين ببأسه ... اذا هوت الدنيا ببعض الشدائد
اهاب الهوى حتى كأني من الهوى ... امزق احشائي بسم الاساود
الم يكفه مني انقباض عن الورى ... توغلت منه في بطون فدافد
فياتي باحلى الفانيات وسامة ... ليغدو أيان اتجهت مطاردي
فاصبحت كالعصفور دوم هابطا ... لان عاقه عن طيره نبل صائد
تشاهد اسراب العصافير حوما ... فيلحظها شذرا بنظرة حاقد
فلا ريشه يعلو به مثل أمسه ... ولا الموت ينجيه بضجعة خامد
مشى العمر بي شوطا فاصبح مانعي ... هناءات لقيا واتفاق مواعد
مضت نسمة في الروض تسترق الخطا ... لسوسنة تبدي تجنب زاهد
تسائلها كيف انطوت عن رفاقها ... وان لها فيهن سطوة قائد
اذا ما انتحت دون الانام فعطرها ... يرف رفيفا في الربى والمعاهد
وان سناها مسعف كل اكمه ... وان شذاها موقظ كل راقد
وان فقدت ظل الانيس فسنة ... وما كل ماض في الطريق بعائد
اساعدها حتى تبدل حالها ... فيا ليت شعري من يكون مساعدي

المنصورة — مصر

محمد رجب البيومي


محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

جلق

ويخطئون من يطلق على دمشق اسمها الآخر : جلق (بكسر وفتح اللام المضعفة) او جلقا ، ويقولون ان الصواب هو : جلق (بكسر الجيم واللام المضعفة وضم القاف) او جلق (مثلها وبتنوين القاف المضمومة) ، اعتمادا على المبرد في الكامل (في الباب ٤٤) ، والازهري ، والصحاح ، وعزلة الاعور (حسان بن نمير) القائل :

ابى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها الشمس وبدور

(بكسر الجيم واللام المضعفة في (جلق) المنصرفة) .

ولكن :

اجاز كسر اللام في (جلق) وفتحها : حسان بن ثابت الانصاري ، القائل :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الاول

وردت (جلق) في ديوانه مفتوحة اللام ، ومكسورتها في معجم البلدان لياقوت . وممن كسر اللام في (جلق) وفتحها ايضا : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وانفرد معجم مقاييس اللغة بذكر جلق (بكسر فلام مضعفة مفتوحة) وحدها . ويقول اللسان والتاج ان كلمة جلق (بكسر الجيم وفتح اللام المضعفة وكسرها) تصرف ولا تصرف .

وجلق (بكسر فلام مضعفة مكسورة) ايضا : ناحية بالاندلس فيها نهر كبير ، وواد في شرق الإندلس .

الامر الجلل (العظيم واليسير)

ويخطئون من يستعمل كلمة الجلل (بفتح ففتح) للامر اليسير ، ويقولون انها للامر العظيم ، ويستشهدون بقول الحارث بن وعلة الجرمي :

قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي

والحقيقة هي ان كلمة (الجلل) تقال للامر العظيم واليسير ، يؤيد ذلك : (١) قول امرىء القيس :

بقتل بني اسد ربهم الا كل شيء سواه جلل

اي : يسير

(٢) وقول لبيد :

وارى اربد قد فارقني ومن الارزاء رزء ذو جلل

اي : عظيم

(٣) وفي حديث العباس يوم بدر ، قال : « القتلى جلل ما عدا محمدا » اي : هين يسير .

(٤) واجمع على ان (الجلل) من الاضداد (فيقال : جلل لليسير ، وجلل للعظيم) ، كل من ابن قتيبة (ادب الكاتب) ، وابن الانباري ، والصحاح ، والثعالبي (فقه اللغة) الذي قال : « الجلل : اليسير ، والجلل العظيم ، لان اليسير قد يكون عظيما عندما هو ايسر منه ، والعظيم قد يكون صغيرا عندما هو اعظم منه » ، وابن الاثير (النهاية) ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن ، والتضاد ، والوسيط .

وانا انصح بأن لا نستعمل كلمة (الجلل) الا للامر العظيم :

(أ) دفعا للوقوع في اللبس عند اختيار احد المعنيين المتضادين .

(ب) لان هذا المعنى هو المألوف لدينا .

(ج) لان المصباح المنير اكتفى بقوله : جل (بتضعيف اللام) الشيء يجل (بكسر الجيم) : عظم ، فهو : جلل .

(د) لان الجليل والجلى (بضم الجيم وتضعيف اللام المفتوحة) التريبين في حروفهما من الجلل لا يكونان الا للامر العظيم .

جلولي لا جلولائي

جلولاء ناحية من نواحي السواد في طريق خراسان ؛ وجلولاء ايضا مدينة مشهورة بافريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلا . ويقولون في النسبة اليها : جلولائي . والصواب : جلولي (بفتح ففضم) ، وهي نسبة شاذة ، غير قياسية كما قال ابن مالك في الفيته وغيره .

يجلو المرآة والفضة والسيف ونحوها ويجليها

ويخطئون من يقول : فلان يجلي (بفتح فسكون) المرآة والفضة والسيف ونحوها ، اي : يكشف صداها ويصقلها . ويقولون ان الصواب هو : يجلوها (ابن السكيت في اصلاح المنطق ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، وتذكرة علي) .

ولكن : يجيز الفعلين (يجلوها ويجليها) كليهما : القاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعلها فهو : (١) جلاها يجلوها جلوا (بفتح فسكون) وجلاء (بكسر الجيم) فهي : مجلوة (بفتح فسكون فواو مضعفة مفتوحة) . (٢) جلى المرآة ونحوها يجليها جليا وجلاء (بكسر الجيم) ، فهي : مجلية (بياء مضعفة مفتوحة) .

ويخطىء محيط المحيط ومتن اللغة بفتحهما الجيم في المصدر (جلاء) ، والصواب : كسرها .

جاء القوم اجمعهم ، باجمعهم ، باجمعهم (بضم الجيم)

ويخطئون من يقول : جاء القوم باجمعهم ، ويقولون ان الصواب هو : جاء القوم اجمعهم . والحقيقة هي ان كلتا الجملتين صحيحة . وكلمة (اجمع) ، في الجملة التي يخطئونها ، لا بد ان تضاف الى ضمير المؤكد ، وان تسبقها الباء الزائدة الجارة ، وهي زائدة لازمة لا تفارقها .

وجاء في النحو الوافي ٥٠٤/٤ : « تعرب كلمة «اجمع» توكيدا مجرور اللفظ بالباء الزائدة اللازمة ، في محل رفع ، او نصب ، او جر ، على حسب حالة المؤكد (المتبوع) . وهذا الاعراب اوضح وايسر من اعرابها بدلا من المتبوع ؛ مجرورة اللفظ بالباء في محل رفع ، او نصب ، او جر ، لان صاحب هذا الاعراب لا يجعل (اجمع) هنا من الفاظ التوكيد ، برغم انها — عنده — تؤدي معناه ، وتضاف الى ضمير مطابق للمؤكد » .

وممن اجاز لنا ان نقول :

(ا) جاء القوم بأجمعهم : ابن السكيت (تهذيب الالفاظ ، باب اخذ الشيء بأجمعه) ، والالفاظ الكتابية (باب اخذ الشيء بأجمعه) ، والصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والنحو الوافي ، والوسيط .

(ب) وجاء القوم بأجمعهم (بضم الميم الاولى) : ابن السكيت (باب اخذ الشيء بأجمعه) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والنحو الوافي .

كسر جناح العصفور

ويجيزون تذكير الجناح وتأنيثه ، فيقولون : كسر جناح العصفور وكسرت جناحه ، اعتمادا على محمد بن الطيب الفاسي ، الذي نقل عنه مد القاموس ذلك . ولم اعثر على معجم آخر يؤيد تذكير الجناح وتأنيثه معا . والمصادر الآتية تكتفي بتذكيره : معجم الفاظ القرآن الكريم ، وابن جني ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع الجناح على : اجنحة واجنح (بضم النون) ، راجع الآية الاولى من سورة خاطر . ومن معاني الجناح : (١) العضد ، (٢) الابط ، (٣) الجانب ، ومنه جناح القصر ونحوه . (٤) الطائفة من الشيء ، (٥) كل ما ينظم عريضا كالجناح من در وغيره . (٦) جناحا الرحى : شقتاها . (٧) جناحا النصل : شفرتاه . (٨) جناحا العسكر : جانباه (مجاز) . (٩) جناحا الوادي : مجريان عن يمينه وعن شماله (مجاز) . (١٠) فلان في جناح الحاكم : في كنفه ورعايته (مجاز) . (١١) هو على جناح سفر : يريد السفر (مجاز) . (١٢) ركب جناحي طائر : فارق وطنه . (١٣) ركب جناحي نعامة : جد في الامر واحتفل به (مجاز) . (١٤) هو في جناحي طائر : اذا كان تلقا دهشا (مجاز) . (١٥) خفض له جناحه : خضع وذل (مجاز) ، راجع الآية ٢٤ من سورة الاسراء . (١٦) فلان مقصوص الجناح : اذا كان عاجزا (مجاز) . (١٧) وصلت جناحه : ساعدته (الحريري في المقامة الكوفية) .

جدله (بدال مضعفة) ، جدله ، تجيل ، انجدل لا جندله

ويقولون : طعن سامر الفارس بالرمح فجندله ، والصواب :

(١) طعنه فجدله (بتضعيف الدال) ، اي صرعه ورماه على الجدالة (الارض) : جاء في حديث علي : « وقف على طلحة وهو قتيل ، فقال : اعزز علي ابا محمد ان اراك مجدلا (بتضعيف الدال) تحت نجوم السماء » . وقال معاوية لصعصعة : « ما مر عليك جدلته (بتضعيف الدال) » اي : رميته وصرعته .

ومن ذكر ايضا الفعل جدله (الدال مضعفة) : الازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٢) او تجدّل (بتضعيف الدال) (انصرع) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٣) او جدله (بفتح ففتح) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(٤) او انجدل (انصرع) : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « أنا خاتم النبيين في ام الكتاب ، وان آدم لمنجدل في طينته » .

ومن ذكر ايضا ان الفعل انجدل يعني انصرع : الصحاح ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط.

وقال اللسان ان الفعل جدله (بتضعيف الدال) اكثر استعمالا من جدله (بفتح ففتح) .

الجنازة (بكسر الجيم وفتحها)

الجنازة ، التي هي النعش والميت وهما مع المشيعين . يخطئون من يفتح جيمها ، ويقول : الجنازة ، ويرون ان الصواب هو الجنازة (بكسر الجيم) ، اعتمادا على الليث بن سعد ، والنضر بن شميل المازني ، وابن السكيت في اصلاح المنطق ، وادب الكاتب ، والصحاح ، والمختار ، ودوزي ، وتذكرة علي في المنطق العربي ، والوسيط .

وقد ذكر الصحاح والمختار ان العامة تفتح جيم الجنازة .

ولكن :

اجاز كسر الجيم في (جنازة) وفتحها كل من الاصمعي ، وابن الاعرابي ، وشمر بن حمدويه ، وابو عمر الزاهد رواية عن ثعلب ، والتهذيب ، وابن سيده ، والحريري في هامش المقامة الوبرية ، والنهاية ، والمغرب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وقال المصباح ان كسر الجيم افصح . وقال محيط المحيط واقرب الموارد : ويفتح (حرف الجيم) . وبعد ما ذكر المتن ان الفتح لغة ، قال : او الفتح عامي .

ولا يذكر معجم مقاييس اللغة الا الجنازة (بفتح الجيم) ، ثم يقول ان النحارير ينكرون فتح جيمها .

ويقول ابو علي الفارسي : « لا يسمى جنازة حتى يكون عليه ميت ، والا فهو سرير او نعش » .

وبعد ان يجيز اللسان كسر الجيم وفتحها ، يقول : « والعامة تقول الجنازة بالفتح » .

وتجمع الجنازة على جنائز .

ركن الملقن لا جورة الملقن

المكان في مقدمة المسرح ، يختبىء فيه من يلقن الممثلين ادوارهم همسا ، يسمونه : جورة الملقن .

ولكن :

جاء في المجلد الرابع عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة « الفاظ الفنون » بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثانية عشرة ، بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٧٢ ، في المادة رقم ٦٩ ، ان المؤتمر اطلق على ذلك المكان في مقدمة المسرح ، اسم : ركن (بكسر وتضعيف) الملقن .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣
محمد العدناني

الشاعر امين نخله وذكرياتي عنه

بقلم رياض المعلوف

* * *

رحمك الله يا امين ، وجدد ذكراك كل يوم ، يا نخلة الشعر والالهام الباسقة في صحراء عبقر الخصبة بتوافيك اليانعة المخضوضرة !

وحفظ الباري مؤلفاتك وبدائعك ، ونفع الناس بها . ممن ذات العماد ، وكتاب المئة ، وتحت قناطر ارسطو ، والدقائق في اللغة ، واحكام الوقف في الفقه ، وكتاب الملوك ، الى المفكرة الريفية ، ودفتر الغزل ، والديوان الجديد ، وكلها محببة الى قلوب قرائك والمعجبين بشعرك ونثرك .

وكاني بك ذلك الصائغ البارع الذي ينتقي ويلتقط الجواهر بأطراف انامله ، ليرصفها بفن في الخواتيم والاساور .. وهكذا ترصف كلماتك المنتقاة والمنتخبة بدقة وذوق ! ودليلي على ذلك مفكرتك الريفية التي حملت فيها جبلنا وريفنا الى العاصمة على طبق من اطباق الذهب ، حيث يتبرعم فيها الغصن ، وتورق الشجرة وتخضوضر وتثمر ، وتحلو حبات المناقيد ، وهي على زعمك ظروف الحلاوة !

وينفسخ السهل الزاهي الالوان كمنديل العروس ! ولله تلك « التفاحة » التي غزتك في دكان البائع البيروتي ، راجية اعفاءها من نهش وشم وضم ! وعن الديك ، سجين القفة في المدينة ، عند بائع الدجاج ، وهو ابكم من لوعة فرقة الضيعة ، وكيف يطلع الصبح في القرية دون صياحه !

وعصي « القثاء » التي هي كعصي النواطير في كرومنا ، ناهيك عن عناد رؤوس البطيخ في زوايا دكاكين الفاكهة .

ولا انساك ، يوم زرتني في منزلنا براس بيروت ، بعد عودتي من المهجر ، واسمعتني كما اسمعتك بعض الغزليات ، وحيث لمحت لوحة بريشتي على الحائط ، وفيها تفاحة حمراء كقرص الشمس ، فاستلطفتها وكنت تريد اغتصابها ، فاهديتك اياها مسرورا ، فشكرتني وقلت لي على ما اذكر : اغتصاب الكتب واللوحات مباح .

وهذا شعرك الآن بين يدي ، وفيه ما فيه من المتع والصور والفكر ، كقولك :

احبك في القنوط وفي التمني   كاني صرت منك وصرت مني
احبك فوق ما وسعت ضلوعي   وفوق مدى يدي وبلوغ ظني
هوي مترنح الاعطاف ، طلق   على سهل الشباب المطمئن

وهذه القصيدة انشدها المطرب محمد البكار مع عدة قصائد لجبران ، وخليل تقي الدين وميشال ابو شهلا والدكتور حبيب ثابت (صاحب مطولة عشتروت) وقصيدتي « يا بلبلي » ، ومطلعها :

اطربتني وفتنتني يا بلبلي   وتركتني نملا بوحي منزل

ولحن هذه القصائد الملحن المعروف الاستاذ نجيب الشلفون ، واقيمت حفلة خاصة انشدت فيها في « التياترو الكبير » ببيروت في الثلاثينات ، وكانت الحفلة موفقة واثيرت حولها ضجة ثقافية وصحفية في تقييمها ، وتقييم الشعر فيها ، والموسيقى . وكانت الانطلاقة الاولى لهذه الحفلة بقرن الشباك ، في منزل صديقنا صاحب مجلة « الاديب » الأديب الشاعر الاستاذ البير اديب ، حيث كنا نجتمع غالبا مساء كل سبت ، ونتنادم ونتبادل الآراء الادبية والمناقشات الشعرية ، ثم نستمع الى تمتمات عود الملحن الشلفون المطربة !

اما قصيدتك « العقد الطويل .. والسقيط فوق الصدر العاجي » فهذا مطلعها :

سالت له الله ان يهدا   لقد تعب العقد مما راى

وقولك في الفم ، وما الطف ما قلت :

انا لا اصدق ان هذا   الاحمر المشقوق فنم
بل وردة مبتلة   حمراء من لحم ودم
اكمامها شفتان ، خذ   روحي ، وعللني بشم
ان الشفاه احبها ،   كم مرة قالت : نعم

نعم يا امين ، والف نعم .. هذا هو السحر المطلسم بالشعر ..

وهذا قولك في السامرية :

شرب المسيح ، فما لها لا تشرب   والبئر سقسقة وماء طيب

وفي رثاء العالم الموسيقي المعروف الشاعر الاستاذ ابسكندر شلفون بحادثة مقهى كوكب الشرق :

هذا ولي العود والاوتار   سلطان البيات
اخذت يدي تلك الانامل   بالحنان وبالاناة
فكانها اخذت مفاتيح   السرور معطلات

والزعيم رياض الصلح ، لله درك في رثائه البليغ :

ما على الحب ان مضى الاحباب   تسلم الذكريات والاسباب

وكيف انسى حقك ووفاءك ، يوم وقفت في قصر الاونيسكو صيف ١٩٥٩ راثيا والدي العلامة المجمعي الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، وما ابلغ ما قلت فيه :

يا ابا التاريخ بلغت ذرى   لم تتح علياؤها للنظراء
خير من صال ومن جال ومن   مهد الراي وآوى وافاء
ظفر العلم بمعلوفية   من يراع كالرياحين ، وضاء
لا تبال اللون من اسوده   فالتم الاخمر والحبر سواء
يا ابا فوزي ، واقمار الدجى   . . . .
نزل البدر لهم عن اوجه   وتنحى لبدور الشعراء

وفي اخي فوزي ، قولك :

يا بلبل الوادي الشجي الرقيق ... خمش خديه عليك الشقيق
يا نشوة للشعر ، فوزية ... واللفظ كوب والمعاني رحيق
فوزي هو الساقي ، فنحن الالى ... لا نرتوي العمر ، ولا نستفيق

وكم من ذكريات ، لك عندي وذكريات ، انا الذي عرفتك في اول برعمة شاعريتي ، وكنت انت محاميا ، ومكتبك في خان انطون بك ، حيث كان لي معك ومع بعض الادباء والشعراء أمتع الجلسات واطيبها ، ثم اتخذت مكتبا جديدا للمحاماة قرب قصر العدل القديم في الكبوشية ، وكم دلفنا الى ذلك المكتب في العشايا ، نحن زمرة الادب والشعر ، مجتمعين حول « ... مفرحة » تنسينا الدنيا وما فيها من متاعب ومصائب ! وكذلك في مقهى شقير بساحة البرج ، وفي محل فتوح اخوان والشبالية سويس وفي مقصفي طانيوس ومسعود ، ويا لسعادة تلك الايام .. وفيها كانت تدور الاحاديث الادبية الطلية ، بينما ... فتأنس النفوس .. فغزلية من هنا ، ونكتة من هناك .. ولا أنس تلك ... في احدى العشايا اليونانية الأصل ، وبديعة الشكل ، وهي التي حملت الينا ... المسرة مع وسامة وجهها الضحوك !

ولم اتمالك يومئذ من القول فيها ، هذه الابيات التي طرب لها كثيرا صديقي الشاعر ابو زيشة ، يوم سمعها مني في حلب ودمشق ، يومئذ ، وهذا بعضها :

اسقنيها من مبسم الابريق ... بنت ... من المصفى العتيق
ودعوني اصغي لما لقنتها ... قاطفات ... عند الشروق
رددت ما طلبت منها وغنت ... اغنيات بصوتها الموسيقي

ثم اقول :

ذات حسن من الفرنج ، تباهت ... انها من سلالة الاغريق
تغمز الكل عينها بدهاء ... فيظن الغبي هذا حقيقي
واشارت باتملي ، ثم راحت ... بمزاح تقول : هذا عشيقي

ثم التقينا في القاهرة في الثلاثينات مع شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، وشاعر الشباب احمد رامي ، وآخر لقاء كان يوم مبايعة الاخطل الصغير الامارة ، في الحفلة ، وبعدها في فندق كارلتون ببيروت ، وكان فيه ضيف لبنان الشاعر المصري المرحوم الصديق الاستاذ صالح جودت ممثل مصر في الاحتفال .

وهل انس تلك الليلة البيضاء الغراء بصحبة الامين وصالح جودت ونزار قباني وكوليت خوري وغيرهم ... وفي جو عابق بالصداقة والشعر والانس جلسنا حول اطايب موائد الليل اللبناني الجميل ، والمخملي الملمس ، فوق زرقة البحر المتلاعبة امواجه برمال الشاطىء الساحر ، وكان صديقنا صالح جودت يصيح بالخادم قائلا : هات واحد « ... » بلهجته المصرية اللطيفة ! ثم دار الشعر والغزليات ما بيننا وسمعنا واسمعنا ما لذ وطاب من القصائد التي كانت تنتزع همهمات الاعجاب والنشوة الشعرية !

فكانت ليلة لبنانية عباسية ! من الليالي التي لا تمحى ذكراها ، كما لا تمحي ذكرى ابي سعيد الامين على الشعر والاخاء والوفاء .

وتعود بي الذكرى الى تلك الليلة المليحة التي سهرتها برفقتك ايها الامين ، في سينما امبير ببيروت ، وحضرنا معا حفلة موسيقية رائعة سمعنا فيها الموسيقار الارجنتيني العالمي «ادواردو دو بيانكو» ، مؤلف تانغو «لاكومبرسيتا» والذي اصبح لكثرة عزفه كلاسيكيا ، فطربنا لعزف بيانكو البديع على الكمان مع جوقته الموسيقية ، بعض الراقصات المتفننات بينهن راقصة زنجية استوقفت نظرنا لرشاقتها ولياقتها حتى كدنا نظن ان اطراف اقدامها مجنحة لخفتها وفنها ، وهذا ما حدا بك ، يا امين ، ان تنظم فيها قصيدتك السوداء ، وهذا بعضها :

لا تعجل ، فالليل اندى دابرد ... يا بياض الصباح ، والحسن اسود
ليلتي ليلتان ، في الحلك الرطب ... فجنح مضنى ، وجنح كان قد
وكاني على الغصون من اللين ... وهز الثمار ، ما تتاود
نت ، تحسن العبيد في مجدك ... الاسود ، اهل البياض نشقى ونسعد
الف غصن ، في الف هزة غضن ... وقيام مع الغصون ، ومقعد

وعندما عدتك في مرضك الاخير بمنزلك في بيروت ، صيف ١٩٧٠ ، فاستقبلتني رغم توعكك بابتسامتك المالوفة ، وكابرت على الداء الذي اثناك عن الكلام وكثرة الحركة ، فحز في نفسي ان اراك غائر النظرات وبعيدها ، كأنما شيء منك يغيب فيها ببطء ، ووجهك شاحب اللون ، وشمعة حياتك اخذت تذوب في اواخر ليل حياتك !

وبعدما تعانقنا ، ودمعت عينانا ، فرحا باللقيا ، قلت لي بصوتك الخافت الابح : يعز علي يا رياض ان لا استطيع ايفاء عمي الحبيب عيسى حقه في حفلة تمثاله في قصر الاونيسكو ، لانني اعلم الناس بعلمه ، وسعة اطلاعه !

ولا انساك مرتديا ذلك « القمباز » الحريري السكري اللون ، واكمامه المطرزة تتموج مع حركتك الدائمة ، كارداف غمباز محسن الهزان في زجليات ابيك شاعر الباروك ، وبيدك مسبحة سوداء مطعمة بالفضة ، وهي آخر نظرة وقعت من عيني عليك ، يا بلبل المجالس والمنابر .

ويا ابا سعيد ، وابن الرشيد ، رحمك الله ، ورحم معك الصداقة والوفاء ، واشعل شمعة ذكراك الى الابد !

زحلة — لبنان ... رياض المعلوف

ادب الاغتراب

هل انتهى ؟ ام ما يزال قائما ؟

بقلم عبد اللطيف اليونس

* * *



طلب الي الصديق الاستاذ نواف حردان ان اكتب حول هذا الموضوع — بعد العاصفة التي اثارها الدكتور عيسى الناعوري ، ونشرت في بعض صحف الوطن الام .

وفقدت من بين يدي جريدة « حمص » — التي نشرت رسالة « الناعوري » الى الاديب عيسى فتوح ، فيما اذكر .

وليس من السهل الكتابة في موضوع معين ، ردا على افتئات معين ، اذا لم يكن امامك المستند الذي تستند اليه ، فيما تكتب ، وترد .

ولكن .. ليس من السهل ايضا اهمال طلب الاستاذ نواف حردان — ولا اقول اهماله — وله دالته علي ، كما هو معروف .

... فضلا عن ان من العقوق للادب العربي بصورة عامة ، والادب المهجري بصورة خاصة ، ان نسكت عن مثل هذا الافتئات ، ولا نرد الضربة من حيث اتت ، والتهجم من حيث جاء .

وغريب جدا .. ان يجنح كاتب كبير ، كالدكتور الناعوري ، وقف اكثر نشاط قلمه — ان لم يكن وقته كله — على الكتابة عن المغتربين العرب في امريكا ، وادبهم النابض بالقوة والحياة .. ان يجنح الى الادعاء بان هذا الادب قد انتهى .. واصبح .. ماضيا .. ، لا حاضر له ، ولا مستقبل !

اما انه انتهى .. فهذه كلمة لا تقال عن ادب ، مهما كان ، الا اذا كان ادبا فقيرا ومغمورا .. ليس له مقومات ادب ، ولا خصائص تضمن له الخلود ، وتكفل له ان يعيش على السنة الناس ، وفي ذاكرتهم ، ومكتباتهم .

واذا كان كل ما مضى يعتبر منتهيا .. فان تاريخنا الادبي الحافل لا اثر له اذن ولا وجود ! وما نحسب الدكتور الناعوري يقصد هذا ، او يريد التلميح عنه ، وله المؤلفات الضخمة بدرسه وتخليده وتمجيده .

لقد انتهى « العهد الاندلسي » .. بتلك المأساة المؤلمة المروعة الدامية .. ولكن هل انتهى ادبه الذي يعتبر درة في التاريخ ، ومنارة مشرقة سامية رفيعة ؟

وفي يقيني .. ان الدكتور الناعوري لا يقصد «الماضي» ، ولا يريد النيل منه .. وانما يقصد «الحاضر» ، ويتهم بالذوبان والاضمحلال والتلاشي !

فالشعراء الذين مضوا ، قد مضوا .. ومن بقي منهم حيا فقد صمت ، وتوقف — حسب زعمه — عن العطاء والابداع ! واذا كان ثمة شاعر ما يزال ينظم وينشر .. فليس شعره ، حسب رايه ، من النوع الجدير بالنشر والحفظ والدرس !

وفي كتابه الاخير عن الادب المهجري .. عرض بالشاعر الكبير جورج صيدح — تعريضا ما يزال مثار تعليقات جمة ، من كافة الادباء المعنيين بالادب المهجري ؛ وموضع استنكار واستهجان وتندر .

اذ لعل الشاعر جورج صيدح هو الوحيد بين الشعراء المغتربين ، من الرواد الاول الذي ما يزال مثابرا على العطاء — وبنفس المستوى الذي عرف به ، وقدر ، واشتهر .. رغم تقدمه في السن ، ووضعه الصحي المؤسف المؤلم . ومع ذلك .. فقد اتهمه بانه انتهى .. وقال في « شظايا حزيران » كلاما لا يليق باديب كبير — كالدكتور الناعوري — ان يقوله .. ولا ان يقال بشاعر انيق الديباجة ، مجنح الفكر ، وضيء الخيال ، غزير المعنى ، كالشاعر جورج صيدح ! ولكن .. لله في خلقه شؤون وشجون !

وكان رد الاستاذ صيدح ، بقصيدة طويلة عامرة ، شاهدا حيا على بطلان ذلك الادعاء ، ودحض ذلك الافتراء ، واحباط تلك التهمة(1) .

وهكذا .. لم يسلم من الاقلام الشابة والمخضرمة ، من الحكم الجائر الذي اصدره الناعوري ، والفتية الغريبة العجيبة بحق الادب المهجري : شعرا ونثرا !

بل انه نعى ادب الاغتراب كله — ولم يستثن ! والكتاب في نظره ، او حكمه ، كالشعراء : صمتا ، وعجزا ، وعدم قدرة على العطاء والابداع !

فكان — وهو يعلن « اسفه » و «المه » ! — يريد ان يميت الاحياء ، ويذري عليهم تراب الفناء ، وينكر عليهم طاقة العطاء ، ويحرمهم من عطر الخلود !

واذا كان ليس ثمة كاتب كجبران ، والريحاني ، ونعيمه .. او شاعر كابي ماضي ، والقروي ، وفرحات .. فهل معنى ذلك ان هذا الجيل الحافل بالكفايات والطاقات والمؤهلات ، لا يصلح ان يبرز ، او يخلد ، او يعترف به ، ويحكى عنه ؟ ! — مع انه يوجد شعراء الآن ، في البرازيل والارجنتين ، لا يقلون سوية وشهرة وذيوع اسم عن الشعراء في الوطن الام .

انا لا اريد الخوض في معرض اسماء — وهو شيء يطول ، ولا يمكن حشره في مقال .. ولكنني مؤمن ايمانا عميقا بانه ما يزال في الادب المهجري الق القصيدة العربية ، وفي نثره تدفق الشريان المتوهج النابض المعطاء .

وما تزال المطابع في البرازيل والارجنتين ، وبعض

(1) — كتبت هذه المقالة قبل وفاة الشاعر المرحوم جورج صيدح في باريس .

دور النشر في الوطن العربي ، تنشر كل عام عددا من المؤلفات ، لادباء مغتربين ، يحتل انتاجهم الادبي مكانا بارزا في المكاتب العربية . ومن الغرابة بمكان .. الا يكون الدكتور الناعوري قد اطلع عليها ، او حاول الاطلاع !

وهل يسوغ ان توجه الى ادب — لـه مقوماته ، ومنطلقاته ، وخصائصه ، والقوة النابضة فيه — تهمة الخمود والركود ، والموت والفناء ، والزوال والاضمحلال ؟

وممن ؟ من اديب له اثره ومكانته ، واياديه البيضاء في تخليد الادب المهجري وتمجيده ! وهل يسوغ اذا كانت ثمة حفيظة لشخص معين .. ان يميت ، او يحاول اماتة ، ادب بكامله من اجل ذلك الشخص المعين ؟.!

اعرف ، واعترف ، بأن القراء العرب قد نقص عددهم في الامريكتين — الشمالية والجنوبية — الى حد مخيف ! وان الادب بشقيه — شعرا ونثرا — انما ينهض ويجلي بكثرة الشغوفين المتتبعين المعجبين .. وان كثيرا من الاقلام التي تفتقد قراء اذكياء مدركين مقدرين ، انما تتوقف وتنحبس وتصمت .. وانه في اي عصر من العصور ، او بلد من البلدان ، لم ينطلق ادب ، وينمو وينجل ، الا اذا توفرت له الاسباب الداعية لذلك ، والدافعة والمشجعة والمثيرة ..

ولا شك .. انه حينما كان عصر الاغتراب في فتوته ونضارته وزهوه ، كانت عشرات الصحف ، في كل من الارجنتين والبرازيل ، تصدر بوقت واحد .

وليس هذا الرقم خياليا .. بل انه واقعي ، يستند الى وقائع في كل ما كتب عن الاغتراب ، وسجل ، واذيع .

ومما لا شك فيه ايضا .. انه حينما تناقص عدد القـراء العرب .. تناقص عـدد الصحف العربيـة ، واضمحل .. ثم تناقص الانتاج الادبي والعطاء الفكري تبعا لذلك — ولكنه ابدا لم يتلاش ، ولم يسف .

لقد طويت آخر صحيفة في تشيلي ، وفي الارجنتين — ولم يبق في الجمهورية الفضية الا صحيفة « العلم العربي » التي يصدرها الاستاذ عبد اللطيف الخشن شهريا ، حيث ينقش بعض اعمدتها على الآلة الكاتبة ، ويصور البعض الآخر بالزنك عن صحف الوطن الام .

وفي فنزويلا ، وكندا ، والولايات المتحدة الامريكية ، ما تزال ثمة صحف عربية تصدر ، ويبذل اصحابها جهودا مضنية لكي تبقى وتستمر — ولكن الى متى ؟

اما البرازيل .. فان الوضع فيها اجمل وافضل — اذ ما تزال بضعة صحف تصدر باستمرار ، وفي طليعتها جريدة « الانباء » .. لان روافد الهجرة الى تلك البلاد الشاسعة المترامية الاطراف لم تتوقف .. فقد اغتربت في الخمسينات ، وما قبلها وبعدها ، اقلام شابة .. اعطت الادب المهجري دما جديدا ، وحيوية متدفقة خلاقة مبدعة .. وبرز بعض هذه الاقلام ، في مختلف اوجه النشاط الفكري ، حتى اصبح يشار اليها بالبنان ، وتوجه اليها عبارات الثناء والتقدير من كل مكان .

لقد انتقلنا من حديث الادب ، الى حديث الصحافة — لانهما متلازمان متوافقان لا ينفصلان . ومن المحال ان يبحث عن احدهما في معزل عن الآخر — اذ ان صلة كل منهما بالآخر وثيقة متينة محكمة . وكل منهما متواجد مع صاحبه ، متمم له ، منصهر فيه .

ولكن .. اذا كان الاديب العربي في البرازيل ، وغيرها من المهاجر الامريكية التي توجد فيها صحف عربية — كما مر معنا — يستطيع ان ينشر انتاجه الادبي ، او بعضه ، في البلد الذي يقطن فيه .. فليس معنى ذلك ان الاديب في الارجنتين لا يجد له منطلقا لنشر روائعه في الصحف العربية بالمهاجر الاخرى ، او في صحف الوطن الام كما هي حالهم دائما وباستمرار .

ودور النشر الرسمية والشعبية ، في العالم العربي ، تخرج كل عام عددا من الكتب لشعراء وكتاب مغتربين ، لا يهبط مستوى انتاج بعضهم عن مستوى انتاج اشقائهم في الوطن العربي — وهيهات . وقد نشرت وزارتا الثقافة والارشاد القومي ، في سورية والعراق ، عددا من المؤلفات للشاعرين المتفوقين الياس قنصل وزكي قنصل ، وما تزال الطلبات تنهال على هذين الشاعرين الكبيرين ، من البلدين المذكورين ، ومن مختلف الاقطار العربية الاخرى ..

وفي البرازيل ينشر كل عام عدد من المؤلفات — شعرا ونثرا — وللاستاذ نواف حردان بضعة مؤلفات نشرت خلال بضعة اعوام . واكرر القول بانني لا اريد الخوض في معرض اسماء .. فذلك امر يطول . وكتابي « المغتربون » الذي تصدر الطبعة الثانية منه قريبا ، باذن الله ، سوف يتضمن دراسات واسعة للادب العربي في المغتربات ، وتركيزا تاما حول هذا الموضوع وسواه .

وفي يقيني .. ان من الصعب ان يقيم المرء الادب المهجري بين الفترة التي مرت ، والتي نعيشها اليوم ، تقييما واسعا دقيقا عميقا في مقال محدود الصفحات والاسطر . ولكنني استطيع الجزم — وبكل قناعة وايمان — اننا اذا استثنينا اولئك العمالقة الذين مر ذكرهم في مطلع هذا المقال ، وقد مضى اكثرهم الى عالم الخلود .. فان الرهط الادبي الحالي في المغتربات لا يقل مستواه عن مستوى الآخرين — بل ربما زاد مستوى الكثيرين من هؤلاء ، عن مستوى الكثيرين من اولئك .. ما عدا العمالقة المعروفين طبعا .

ومن الظلم — بل من التجني على الحقيقة والواقع .. ان يتهم الادب المهجري الحالي بالركود والخمود ! فما قولك اذا زاد الاتهام حتى يصل الى حـد الادعاء بانـه قضى ومضى ، وانتهى وزال ؟ ! ثم نستعمل لـه كلمة « يرحمه الله » ، ونتصدق عليه بها — كما فعل الدكتور الناعوري .. حفظه الله ، وسامحه الله !

سان باولو — البرازيل

عبد اللطيف يونس

ارجوحـة القمـر

*

في ليلة لم تعرف القمر
جلست وحدي ارقب السماء
لعلها تغازل الغريب
وتنثر الزهر
في عالم نهاره ظلام
وحبه الم

ما للسماء تحجب القمر
وتنحر الامال ؟
في ليلة عاصفة الانواء
غيومها لقسى من ...
وصرخة الفناء

الشارع المتد والشجر
وخفقة المصباح في ظلامه الرهيب
والريح تعوي دونما خجل
كانها تطارد الغريب
في عالم الاموات
والناس غرقى ههنا في لجة العدم
جلست وحدي ارقب السماء
اواه لو ترحمني السماء
وتبعث القمر
لارشف النور الذي يرشفه العراق
وارتوي من ثغره الحبيب
وابصر النخيل في ضيائه العطر

هل يعلم العراق
بانني في غربتي اعانق الفرات
وارشف الرحيق
والثم الارض التي تحضنها الحياة

ويعبر النهر بها ارجوحة القمر
اني هنا اسائل السماء
والريح والمطر
هل نسمة عاطرة الانداء
وهمسة من سعف النخيل
تغمرني بالدفء والحنان
في عالم لا يعرف الحنان

سيرجع الغريب يا عراق
وترتوي الاشواق
وتبسم الحياة
ويورق الامل
سبع عجاف كلها حنين
ضاعت وما النغم
بنافع يا وطني الحبيب

يا خفقة لم تعرف الونى
يا بسمة احيا بها يا جنة المنى
ساءلت بالامس ربى الخليج
عن شطك الجميل
عن دجلة الخير وعن فراتك الطروب

واليوم في غياهب العدم
اسائل السماء والمطر
اسائل الريح عن القمر
لعلني اراه
لعلني اراه

سافرون ــ انكلترة — احمد مطلوب



الدكتور عدنان الخطيب

الدكتور عدنان الخطيب

بقلم عجاج نويهض

* * *

ليس ابهج للقلب ، واغبط للنفس ، واكثر انعاشا للاماني العروبية الجامعة لابناء الضاد في القارتين ، من عرض صور رجالات الميادين العاملين في سبيل مستقبل العرب لاعادة العربية سيرتها الاولى نضارة وضياء ، توهجا واشراقا ، واعزاز الثقافة العربية ، وهي الرابطة بين الاذهان والارواح بين العرب ، متجاورين الجدار لصق الجدار ام تناءت بينهم الديار ، وذلك ما نراه من اهل العزم والمضاء ، والعلم والعرفان ، وكلهم نجوم ومصابيح ، في المجامع العلمية للغة العربية في عواصمنا الكبرى ، والمشاركين لهم في الابحاث والدراسات في الصحف والمجلات ، والمقبلين على المحاضرات في المعاهد والاندية والمدارس والجامعات ، وما نرى من جلسات المناقشات ونقد الآراء ، ابتغاء الوصول الى افضل المحصول والمنخول .

فنهضتنا في اللغة وآفاق الثقافة ، منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم وذلك ستون سنة ، جنينا فيها من طيب الثمرات ما يوطد الثقة باننا الى مستقبل حضاري واسع المدى ، والى مشاركة بناءة عملية في نسج خيوط هذه الحضارة التي كلما تعقدت في آلتها وادواتها واجهزتها : نبهتنا الى اننا نحن العرب اذا لم نستثمر كل طاقاتنا ، ونسخر كل قوانا وممكناتنا وانظمتنا ، ونعمل معا ، لتقوية قوافلنا نهجا وصمودا ، ثقلت بالتالي علينا الاعباء ، وانتهى منا الى اولادنا واحفادنا ميراث فيه طيبات وحلاوات ، واشواك ومرارات ، وها نحن كدنا ندرك قمة القرن العشرين ومن اطلع مؤخرا على كنه محاضرة العلامة الكتور قسطنطين زريق في « المركز الثقافي الاسلامي » وهو يتكلم عن « تاريخ المستقبل » يدرك ان العرب عليهم اذا شاءوا الحياة ان يشتروا مستقبلهم بثمن .

لا احب الكنايات حيث الصراحة اولى : اني اتكلم في هذه المعاني التي احصر تعلقها بثقافتنا ولغتنا ، ولا اريد ان اخلط شيئا من هذا بما بيننا وبين العدو الذي في فلسطين ، ذلك لان قضية فلسطين وان كانت دولنا العربية جمعاء هي المسؤول الاول عنها امام الله والتاريخ والذراري ، من حيث السلاح والمقاومة ، غير ان مستقبل فلسطين هو مسؤولية كل عربي وعربية على وجه الارض قاطبة ، قربت الديار من فلسطين ام شط مزارها عنها ، واني من جهة هذه الحقيقة لا افرق في تحمل المسؤولية بين دول تسمى « مواجهة » ، ودول تسمى « مساندة » ودول تتلذذ باخبار فلسطين على التلفاز والمذياع .

فلنبق في الفلك الثقافي . فانت ترى اليوم ان هذه الامة الكريمة العنصر والجرثومة ، يرن طبقها النحاسي على نقرات الدعوات الثقافية الشارنة من ينابيع التاريخ ، وليس مثله رنين الطبق اذا كانت النقرات سياسية ، فاصطلاح « من المحيط الى الخليج »(١) هو تعبير الاشواق الثقافية لا السياسية ، او تعبير عروبي لا « دولي عربي » .

في مقدمة الموكب الثقافي في امتنا اليوم ، المجامع العلمية للغة العربية ، وهي القاهرة ودمشق وبغداد ، وقد الفت هذه المجامع اتحادا فيما بينها قبل سنتين ، وهذا لا ريب يرفع من شأن العربية عالميا ، حضاريا ، راجين ان يزداد بعد اليوم انتاج الاتحاد لمصلحة عرب القارتين .

ويسرنا السرور كله ان نتناول من حين الى آخر ، وكلما تيسرت الوسائل والاسباب ، شخصية عربية علمية ثقافية رائدة ، لها راية ورابية ترتفع عليها ، وسيرة نضال عروبي وضاء ، والمبتغى من وراء هذا ان تزداد وشائج قربى في هذه الآفاق الضادية النقية التربة الشهية الثمر ، وترنو الى « مستقبل » وصفه الدكتور قسطنطين زريق وصفا مشبعا في محاضرته الغنية بالمصابيح .

---

(١) ــ لما كانت « الحكومة العربية » في دمشق من تشرين الثاني ١٩١٨ الى آخر تموز ١٩٢٠ وكانت ثورة الاماني القومية العربية ، والعراك شديدا بل على اشده بين العرب وفرنسا ، والصهيونية مع لندن تنتظران اقتلاع العرب من سورية ، كان الصارخ سياسيا لا ثقافيا يقول بوحدة سورية (ومنها فلسطين) هكذا : « من طورس الى رفح » . فجاء بعده « الوطن العربي الكبير » بين الحربين وهو ثقافي ؛ وبعد الحرب الثانية جاء « من المحيط الى الخليج » وهو ثقافي كما قلنا .

ونحب ان نكون الآن مع علم من الاعلام : له راية ورابية ، هو الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . وعضو مجمع اللغة العربية ورئيس مجلس الدولة السوري .

واول ما يواجهك من سير تافلته ، وانت تشاهد منها المراحل والادوار ، ومواقف البروز ، وغزارة العطاء ، ان عدة مناح ثنائية متآخية ، راحت تتناغم وتواكب بعضها بعضا في السير . وهذا نادر الاتفاق في مواهب اهل الثقافات الواسعة . فالاستاذ الدكتور عدنان الخطيب — بعد قليل نتناول نشأته العلمية المحلية والعالية — اول عمله كان في المحاماة ثم انتقل الى القضاء وجعل يصعد سلمه (بتشديد اللام) حتى بلغ ذروته ، وهو في الوقت نفسه نراه محاضرا ، استاذا في كلية الشريعة واستاذا للحقوق الجزائية في كلية الحقوق للجامعة السورية . وفي عهد الوحدة بين مصر وسورية انتخب في اللجان التي عهد اليها توحيد القوانين وعين مستشارا في مجلس الدولة للجمهورية العربية المتحدة ، وكلف القاء محاضرات جمة في نوبات مختلفة في معهد الدراسات العالية التابع لجامعة الدول العربية ، وغالبا ما كانت هذه المحاضرات تجمع وتظهر بشكل كتب . وشغل منصب «رئيس مجلس الدولة» السوري نحو ٦ سنوات آخرها نهاية ١٩٧٤ ثم منذ ١٩٦٠ وهو من الاعضاء العاملين في مجمع اللغة العربية بدمشق وبالتالي انتخب نائب رئيس المجمع ، كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي . وكتبه تتوالى ظهورا وانتشارا ، وبعضها يعاد طبعها لنفاد طبعاتها ، وجميع كتبه ذات المجنحات الجمة ، في الدساتير والقوانين ، والادب واللغة في القانون . وشارته العلمية البارزة في جميع كتبه على اختلاف ميادينها ، روح التعمق ، وعشق الاستقصاء ، والكشف الباهر عما كان مستورا او خفيا .

فمجمع اللغة العربية في مصر لما جاء سنة ١٩٧٢ بعد عدته لاصدار الطبعة الثانية من « المعجم الوسيط » ، نظر في ما انتهى اليه من نقد النقاد للطبعة الاولى ، حتى اذا اقر ما اثر من تلك النقود تدارك النقص في الطبعة الثانية التي هو بسبيلها ، وانتدبت لجنة مجمعية مؤلفة من اربعة : دكتور ابراهيم انيس ، ودكتور عبد الحليم منتصر ، والاستاذ عطية الصوالحي ، والاستاذ محمد خلف الله احمد ، لوضع « مقدمة الطبعة الثانية » ، وقالت وهي تجول في نطاق تلك النقود ما يلي : « وفيما عنيت اللجنة بدراسته ، كتاب للاستاذ الدكتور عدنان الخطيب اخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق ، عنوانه : « المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط »(٢) » .

وفي ربيع ١٩٧٦ انشىء اتحاد مجامع اللغة العربية يضم مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومجمع اللغة العربية في دمشق ، والمجمع العلمي العراقي في بغداد ، ويمثل كل مجمع عضوان ، فمجمع القاهرة يمثله رئيسه الدكتور ابراهيم مدكور (وهو رئيس الاتحاد) والدكتور محمد خلف الله احمد ، ومجمع دمشق يمثله رئيسه الدكتور حسني سبح والدكتور عدنان الخطيب ، ومجمع بغداد يمثله رئيسه الدكتور عبد الرزاق محي الدين والاستاذ عبد الستار الجواري .

يلوح لي اننا توسعنا هذا التوسع في الكلام المتقدم ويصيب منه نصيب الدكتور عدنان الخطيب ، قبل ان نذكر شيئا عن حياته ونشأته وتحصيله العلوم ، فنقول موجزا انه هو ابن العالم الشيخ عبد القادر الخطيب ، وآل الخطيب في دمشق من الاسر العربية الاسلامية ، العريقة بالاصالة وطيب الارومة في العالمين العربي والاسلامي ، وبيوتاتهم بيوتات الفضل ومتوارث العلم .

ولد عدنان في دمشق سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م وحصل علومه الابتدائية والثانوية في دمشق نفسها ، وبعض العلوم اخذها خصوصيا عن بعض العلماء . ودرس الحقوق في جامعة بغداد ، واما شهادة الدكتوراه في الحقوق واجازة في العلوم المالية فقد نالهما من جامعة باريس .

بعد عودته الى سوريا اشتغل بالمحاماة الى سنة ١٩٤٤ وفي تلك السنة ، شهدت دمشق ، والحرب في تواليها ، موجات عروبية جامعة ، تمثلت « بمؤتمر المحامين العرب الاول » بدمشق ، فكان للدكتور عدنان الخطيب اليد الكبرى البناءة في هذا المؤتمر الذي كان له صدى عظيم في العالم العربي ، وقضية فلسطين وقتها في طريقها لتسلم الى الجزارين بعد نحو ٤ سنين .

ويظهر لمتتبع سيرة الدكتور عدنان ، ان الشركة الوثيقة بين اللغة والقانون ، شركة ينبغي ان تصفى وتنقى ، ويخل محلها مصطلحات صحيحة ، وهذه قضية يبدو لنا انها اول شاغل استولى على ذهنه فأولاه من عنايته ما استطاع بصورة عملية لا نظرية ، فوضع في تلك الغضون كتابه « لغة القانون في الدول العربية » وكان له عظيم الوقع في العالم العربي وتناوله فيما بعد(٣) .

وبعد ان تناهى في تقلد المناصب القضائية ، تولى في ربيع ١٩٦٩ رياسة « مجلس الدولة » وبقي رئيس هذا المجلس حتى احيل على « المعاش » آخر سنة ١٩٧٤ .

ولما احيل على « المعاش » لبلوغه السن القانونية ، قرر مجلس فرع نقابة المحامين منح الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب لقب « محام شرف » ، وتقليده الشارة الذهبية لمحامي دمشق ، تقديرا « للخدمات الجليلة التي قدمها للقانون ، لغة وقضاء وتأليفا ، من خلال عمله كقاض

(٢) — هذا غير كتاب آخر للدكتور عدنان الخطيب اسمه « المعجم العربي بين الماضي والحاضر » سنأتي على ذكره بعد قليل ، وهو محاضرات القاها على طلاب قسم الدراسات الادبية اللغوية « معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة » وطبع ١٩٦٧ .

(٣) — لدينا منه نسخة الطبعة الثانية ، طبع بدمشق سنة ١٩٥٢ .

وكاستاذ في الجامعة وكعضو في مجمع اللغة العربية ولما ارساه خلال ذلك كله من مبادىء للحق في اطار سيادة القانون » .

وبهذه المناسبة كتب اليه الشاعر الكبير « بدوي الجبل » رسالة في ١٩٧٥/٤/٢٩ نثبتها هنا ، لما لها من جلال وهيبة في المعاني والمباني :

اخي وسيدي الدكتور عدنان الخطيب

« ما مررت بمجلس الدولة بعد ان تركته ، الا شممت ارجا معطرا من بيانك ووجدانك ، وعلمك وعدلك ، لقد اعدت القضاء الى نبعته الاصيلة ، وصفائه القديم الوسيم ، ورددته عمري الحنان والعنفوان ، قويا تجل قوته ان تكون عنفا ، ورحيما تجل رحمته ان تكون ضعفا .

ولعلك تاثرت بقضائك بعظيم الدنيا عمر بن الخطاب ، فانت في الاحكام للحق جريء متقحم ، وفي الاحكام على الباطل جريء متقحم ، هذا مع تغير الزمان وتغير السلطان ، ومع فورة للطغيان لا تردها الا فورة للايمان .

انك يا اخي وسيدي لتزين كرامة الشام بكرامة عبقريتك ، وتجمل تاريخ الشام بجمال المعيتك ، وتجمع الى التفرد بقدسية القضاء التفرد بقدسية الوفاء ، وشموخ الاباء ، والعلم عندك واسع عميق ولكنه لا يتكبر ولا يتعالى لانه واسع عميق .

ومن نعمة العذوبة في شمائلك نعمة العذوبة في علمك ، ومرونتك رائعة وتزيدها في كتمانها روعة واشراقا على اشراق ، وسريرتك وعلانيتك حسناء تقطر المرآة فيتقابل جمالان ، ويتنازع الوسامة والقسامة وجهان ، ولا غموض في عبقريتك ولا تعقيد ولا اسرار .

يريدون اسراري ولليل سره اذا تغبوا عنه ، وما للضحى سر

يا اخي وسيدي ، تحية اجلال وحب معطرة بذكرى ابيك العظيم الذي شرفني بعطفه علي في صباي ، كما شرفتني بعطفك علي في كهولتي » بدوي الجبل .

ولما قدم الشاعر الكبير محمد البزم ، رحمه الله عضو المجمع العلمي العربي ، الى المجمع العلمي العربي ترشيحه الدكتور عدنان الخطيب ليملأ احد الكراسي الشاغرة سنة ١٩٥٣ كتب وقال : الدكتور عدنان الخطيب :

« ثمرة يانعة من بيت عرف بالعلم والادب ، شب وترعرع في هذه البيئة التي اكسبته خلقا ساميا وتشوقا الى العلم والدراسة ينتفع بهما لينفع ، فغدا — وقد رزقه الله نشاطا وحماسة — رجل علم وادب ، جمع الى معلوماته الادبية الغزيرة ، ثقافة حقوقية واسعة ، وقلما ان تجتمع هاتان الصفتان .

صرف همه الى الكتابة في امهات المجلات العربية ، يدبج يراعه مقالات كثيرة في اغراض متعددة ، ثم تركز هذا الانتاج فطلع على الناس بكتاب صغير الحجم جليل القدر ، عرض فيه لنقد لغة القانون ، وكيف اضحت هزيلة لا تقوم بما حملته من اعباء ، واقترح ان توحد المصطلحات الحقوقية في جميع الاصقاع العربية ، ليلائم مبنى الفكرة معناها . ودعم كل ذلك بامثلة تنصح عما يملكه المؤلف من تضلع في اللغة وتعمق في الحقوق ، كما اخرج للعالم القضائي كتابه « شرح قانون العقوبات » طبع منه جزءا سيتلوه اجزاء ، وهذا عمل ضخم لا يجرؤ على القيام به الا من آنس من نفسه الثقة والقدرة اللتين يتحلى بهما صاحب الكتاب ، فسد بذلك فراغا في الخزانة الحقوقية العربية التي تفتقر الى امثال هذه التآليف القيمة افتقار كل قاض ومحام اليها .

ولعل تجوال الدكتور الخطيب في ربوع الغرب فتح امامه آفاقا ساعدته على القيام بعمله هذا اتم قيام ، وهذا ما جعل رجال القانون والقضاء يثنون على مؤلفه القيم وتلهج السنتهم بما وقفوا عليه من علم يرتدي رداء الادب ، ونتاج لفكر ابدع ولا يزال يبدع » .

مؤلفاتــــــه

بين ايدينا من مؤلفات الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب ما نذكره حسب ابوابه العامة ، غير ناظرين الى تاريخ الطبع من حيث التقديم والتأخير :

في التاريخ والاجتماع والتراجم

١) الشيخ طاهر الجزائري — رائد النهضة في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته — تاريخ الطبع ١٩٧١

٢) الشيخ محمد بهجة البيطار — حياته وآثاره ١٩٧٦

٣) الامير مصطفى الشهابي — ١٩٦٨

٤) ساطع الحصري — ١٩٦٩

٥) الدكتور احمد زكي — حياته وآثاره ١٩٧٦

٦) عارف النكدي — حياته وآثاره ١٩٧٥

٧) الذكرى المئوية لولادة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ١٩٧٧

٨) المجمعيون في خمسين عاما ١٩٦٩

٩) الشيخ عبد القادر المغربي حياته وآثاره — وخطاب الدكتور عدنان الخطيب في المجمع ١٩٦٠

١٠) الخطابان الملقيان في جلسة استقبال الاستاذ عبد الهادي هاشم (خطاب الدكتور عدنان الخطيب وخطاب الاستاذ عبد الهادي هاشم) ١٩٦٩

في الادب ، والمعجم العربي والحروف العربية

١١) المعجم العربي بين الماضي والحاضر — ١٩٦٧

١٢) الارقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه — ١٩٧٦

في اللغة العربية والقانون

١٣) لغة القانون في الدول العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢

١٤) الوجيز في اصول المحاكمات ، الجزء الاول ـ ١٩٥٨

١٥) الاجراءات الادارية ـ ١٩٦٨

١٦) تاريخ القضاء الاداري ـ ١٩٧٥

وهناك كتب اخرى لم نطلع عليها بعد وهي :

ـ تطور العقوبة عند البدو

ـ شرح قانون العقوبات

ـ المسؤولية الجزائية في قانون العقوبات السوري

ـ النظرية العامة للجريمة

ونحاول ان نتناول الآن اربعة من هذه الكتب :

ـ الشيخ طاهر الجزائري

ـ المعجم العربي بين الماضي والحاضر

ـ لغة القانون في الدول العربية

ـ تاريخ القضاء الاداري

كتاب « **الشيخ طاهر الجزائري ـ رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته** » هذا الكتاب الثر في فتح نوافذ جديدة على سيرة الشيخ طاهر رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وصديق والي سوريا مدحت باشا الشهير بأبي الدستور وبمشروعاته الاصلاحية العمرانية المدهشة ، في كل ولاية جاءها واليا (العراق وسورية وعدة بلدان في البلقان) التي محاضرات في قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في القاهرة ثم جمعت المحاضرات في هذا الكتاب النفيس . توفي هذا المصلح الشيخ طاهر الجزائري اوائل سنة ١٩٢٠ في دمشق عهد « الحكومة العربية » كما درج على التعبير عنها بهذا الاسم ، وهي الحكومة التي كان يراسها (الامير) فيصل بن الحسين وعاشت نحو ٢٢ شهرا آخرها آخر تموز ١٩٢٠ .

ولا نعلم ان للشيخ طاهر رحمه الله ، سيرة في كتاب براسه ، منشورة بعد وفاته ، قبل كتاب الدكتور عدنان من هذا الموضوع ، الا ما كتب عن الشيخ المصلح من قبيل المقالات الصحفية او الترجمة المقتضبة في بعض المجلات .

قال المؤرخ الدكتور عدنان في مقدمته الوجيزة : ـ

« انا لا اترجم في هذه المحاضرات لرائد من رواد النهضة العربية الحديثة فحسب ، ولا لطائفة من اعلام تلامذته ، يمثل كل واحد منهم ، في حياته وآثاره العلمية ، نهجا خاصا في دروب هذه النهضة اهتدى الى معالمه من استاذه ، بل انا اصور مع هذا وذاك ، واقعا مرت به اكثر الاقطار من بلادنا العزيزة ، وكانت تعصف بها خلاله عوامل خفية اورثتنا بعض ما نحن فيه اليوم من فرقة واختلاف راي ، وانتهت بنا الى حال لا تسر الا الذين يكرهون العرب والإسلام » .

واذا شئت ان تقف على تلك « العوامل الخفية » التي باعدت بين السيد جمال الدين الافغاني وتلميذه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ثم ما الفت بين الاستاذ الامام والشيخ طاهر الجزائري ، والجزائري كان في الشام منزلة ومقاما مرعيا كما كان الاستاذ الامام في مصر ، فعليك ان تقرا الكتاب اذا كنت ممن يعنى بدراسة رواد الإصلاح .

وقال الاستاذ محمد كرد علي احد تلامذة الشيخ طاهر : « استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في هذه الديار كالاستاذ الامام محمد عبده في مصر » .

إذا وعيت الفقرة الاولى التي مررت بها الآن ، وهي من مقدمة المؤلف الحصيف اللبيب ، فاليك منها الفقرة الثانية ، وهي تستثير اهتمامك جدا ، فقال : ـ

« لقد قل في كتابنا ومؤرخينا من جرؤ على التصدي لدراسة تلك العوامل ، او حتى على الإشارة اليها . وغدا قد اخذ من ينكر علي تدوين بعض الحقائق في هذه المحاضرات ، لان مرارتها ستصعب تقبلها عند بعض الناس ، وعذري في ذكرها ، وقد حان الوقت للافادة من عبرها ، ان مرارة الدواء لا تسوغ حجبه عن أعز الاعزاء (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) » .

وتلك « العوامل الخفية » هي الماسونية التي كانت اضاليلها تنبث في المجتمع خفية انبثاث الافاعي في التبن ، وتقوم بأفاعيلها فعل الميكروب في الجسم ، وخبر السيد جمال الدين الاعيبها وتلميذه الاستاذ الامام ، والشيخ طاهر ، واخيرا جاول منذ سنين تجربتها عن كثب الشيخ محمد ابو زهرة ، حتى اذا انكشفت له تمويهاتها استعاذ بالله وانسحب منها . وهذا الموضوع بجملته ، ونحن ننظر الى حوادثه اليوم بعد نحو ثلاثة ارباع القرن من تجربة السيد جمال الدين ، هو منظورا اليه منا بالنسبة الى حملة عرش الدعوة الى الاصلاح العربي الاسلامي ، يفرض علينا ان ننتظر مزيدا من الانكشافات عن تلك الخفايا ، ومزيدا من الامتداد في الاستقصاء العلمي على الطراز الذي يتبعه ويجري عليه صاحب كتاب « الشيخ طاهر الجزائري » فالى الدكتور عدنان الخطيب يعود الفضل في هذا الباب حقا .

اما من جهة الحقيقة ، وهي كون الشيخ طاهر الجزائري ، رحمه الله هو رائد النهضة العلمية في ديار الشام ، فهي ام الحقائق في دراسة مناشيء النهضة ، واول اخضرار مروجها في العهد الاخير من حياة السلطنة العثمانية ، وهذا يشمل الربع الاخير من القرن التاسع عشر الى ١٩١٨ . ونرى من الواجب ان نقول بهذه المناسبة ، ان دراسة الاستاذ جورج انطونيوس في كتابه

« يقظة العرب » في طبعته الاولى بالانكليزية (١٩٣٨) هي على الجم من حسناتها ، ولا سيما للقارىء الاجنبي ، لم تبلغ النهاية من جهة الكشف عن مبادىء الحركة في سوريا على يد الشيخ طاهر وتلامذته ، وهذا رأس المال الاول . واخبرني الشيخ كامل القصاب سنة ١٩٥٥ ان الاستاذ انطونيوس قصد الاجتماع بالشيخ كامل الذي هو ولا ريب ثقة ، وخزانة المعلومات الصافية ، فنبهه الشيخ الى حقائق وامور جمة ، هذا يوم كان الاستاذ انطونيوس يرحل ويراجع مادة صالحة لكتابه ويمده مستر كراين بالمعونة في مشروعه .

والذين ترجم لهم الدكتور عدنان من تلامذة الشيخ طاهر هم اربعة : المؤرخ العلامة محمد كرد علي ، والداعية العربي الاسلامي محب الدين الخطيب ، والعالم الفقيه الشيخ محمد سعيد الباني ، والقائد العسكري الشهيد سليم الجزائري ، وهو ابن اخي الشيخ طاهر ، كفله ورباه بعد وفاة ابيه ، فنبغ في التاريخ العربي والعلوم العسكرية الحديثة متخرجا من معاهد الاستانة ، وكان من الاحرار العرب الذين علقهم السفاح احمد جمال الطوراني قائد الجيش الرابع على الاعواد في بيروت في خلال الحرب الاولى في ١٩١٦/٥/٦ .

ولما نقل الجند التركي قافلة الاحرار (المحكوم عليهم بالاعدام) من عاليه حيث كان المجلس العرفي العسكري ، الى بيروت ليلا ليعلقوا في الصباح في ساحة البرج (بعدئذ ساحة الشهداء) كانوا ينشدون الاناشيد القومية طول الطريق وفي الغرف التي زجوا فيها حتى انقضاء الليل ، ولما جاءت نوبة القائد العسكري سليم الجزائري ليقاد الى كرسي المشنقة ووقف على الكرسي ليربطوا الحبل في عنقه ثم تسحب الكرسي من تحته ، واراد الجنود القائمون بتنفيذ الشنق ان ينزعوا النظارات الطبية (العوينات) التي على عينيه ، زمجر وصاح بملء صوته : ابعد عني يا هذا ، اني اريد ان اموت وانا على مثل الحالة التي كنت آمر جنودي فيها . قل للطاغية جمال ان لا يسترسل في سروره اذا رآني اموت . ان روحي ستبقى حية ، وستطبع في نفوس العرب محبة الوطن وكراهية « الاتحاديين »(٤) .

قال الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » :

« وفي تلك المدة التي قضاها الشيخ طاهر الجزائري بالشام ، كان يتحلق حوله في دمشق صفوة المتعلمين والنبهاء

(٤) ــ « الشيخ طاهر الجزائري » ص ٨٥ . و « الاتحاديون » هم المنتمون الى « جمعية الاتحاد والترقي » التركية الطورانية التي عملت سرا في « اعلان الدستور العثماني » سنة ١٩٠٨ وخلع عبد الحميد سنة ١٩٠٩ في حوادث مشهورة في تاريخ ذلك الانقلاب . وكان عمال الصهيونية الماسونيون يعملون مع الاتراك في « جمعية الاتحاد والترقي » وصار يقال لرجالها « اتحاديون » الى انحلال السلطنة في خريف ١٩١٨ .

والمفكرين العرب فتألف من جماعتهم اكبر حلقة ادبية وثقافية كانت تدعو الى تعليم العلوم العصرية ، وممارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي ، وآداب اللغة العربية ، والتمسك بمحاسن الاخلاق الدينية ، والاخذ بالصالح من المدنية الغربية » .

وقال محب الدين الخطيب عن استاذه الشيخ طاهر :

- « وعن هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبتي والاسلامي » .

والكتاب في ١٨٣ صفحة مع الفهارس ، طبع في مصر (معهد البحوث والدراسات العربية) ١٩٧١ وهو صحيفة علم ، وتمحيص ، وكشف وتاريخ وحقيقة . ولا نقول ما يقال عادة : ولا يستغني عنه اديب او دارس تاريخ في ميادين النهضة العربية الاسلامية ، بل نقول يجب على كل عربي مستيقظ ومسلم مستضيء ، ان يقرأ هذا الكتاب ويستوعبه ويحيط به احاطة وعي وهضم . ويشكر مؤلفه الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب فانه اعطى الامة كنزا وذخيرة .

- **المعجم العربي بين الماضي والحاضر :** وهو محاضرات القيت على طلاب قسم الدراسات الادبية واللغوية ، وطبع سنة ١٩٦٧ ويقع في اكثر من مئة صفحة بقليل من الحجم الوافي وللمؤلف ابحاث اخرى في هذا الموضوع ، كالتي نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٥ . وبين دفتي هذا الكتاب تقرأ بوضوح وبيان قصة المعجم العربي كلها وما اطيبها وما الذها . تحدثك عن اول نشوء المعجم ، هذا المعمر الذي هو اكل الدهر وشرب عليه ، لا الدهر اكله ، في خمسة عشر قرنا ، وكيف ترعرع وشب وما شاب ولن يشيب ما طلعت على الارض الشمس وتناسخ الملوان . وتحدثك القصة عن ترتيب حروف المعجم وسبب الاختلاف في هذا الترتيب ، وكما قال المؤلف : « معددين اعلام المشتركين في تشييد صرحه العظيم ، مع بيان اشهر مؤلفاتهم ، وكل ذلك ــ يستمر المؤلف في عبارته ــ لنصل الى الكلام عن المعجم المنشود ، وكيف يجب ان يصنع ، آملين ان يكون عملنا هذا مشاركة متواضعة في خدمة العربية ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »(٥) .

وقصة المعجم في العربية غير قصة النحو ، في النشأة ، وان كانت الغاية واحدة . واحدث المعجمات لدينا في زمننا المعاصر ، هو « المعجم الوسيط » وضعه مجمع اللغة العربية في مصر . ومر بنا ان هذا المجمع الموقر لما جاء منذ نحو سبع سنوات يصدر الطبعة الثانية من « المعجم الوسيط » واراد الاستبصار بما ورده من

(٥) ــ من مقدمة المؤلف .

نقود النقاد على الطبعة الاولى ، نظر بعناية في كتاب في الموضوع للدكتور عدنان الخطيب عنوانه « المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط » .

وطوي هذا الكتاب على مرحلتين ، الإولى دارت حول المعجم الاول في ماضيه ، والثانية حول المعجم العربي في العصر الحديث ، وحدثنا كيف نشأت كلمة « معجم » ، وبنشط نقد المعاجم القديمة كلها مبينا عيوبها ، حتى انتهى الى بيان ما ينبغي ان يكون عليه المعجم الحديث ، وآخر ابحاثه : « المعاجم العربية بين الفن والصناعة » .

ومن ملاحظة تاريخ نشاط علماء السلف الكرام في وضع المعاجم ، من معجم الليثي نصر بن عاصم في القرن الإول الهجري ، الى آخر ما وضع من معجم في القرن الثاني عشر ، وهو « تاج العروس » للزبيدي ، نجد ان اوسع نشاط واغزره في القرون كلها ، كان في القرنين الثالث والرابع ، وهذه قرون الزمان من بني العباس المزدهرة ثم ما تلاها من عصور الانقباض والانكماش ، وانفصال الامصار النائية عن عاصمة الخلافة بغداد . والذين اشتركوا بثقافاتهم العلمية اللغوية في بناء المعجم العربي ، يزيدون على ثمانين عالما علما في راسه نار . ووضع المؤلف حسابات دقيقة لهؤلاء جميعا ، كما وضع مثل ذلك للعلماء الذين وضعوا المعجمات ، على توالي العصور ، وهذا كله في جداول حسنة التنظيم والترتيب استغرقت جهدا كبيرا لم نر مثلها بعد في كل ما كتب في الموضوع . وتحب اعلام القارىء الكريم صفوة هذا . فهناك جدول على صفحة واحدة يبين حروف المعجم وترتيبها ، (وشبه هذا قد تراه في غير مؤلفات ايضا) .

وهناك جدول في ثلاث صفحات متتالية يطلعك على « اشهر المشتركين في المعجم العربي » . وهؤلاء هم الذين يزيد عددهم على ثمانين عالما ، كل واحد منهم مذكور بشهرته او كنيته في خانة من الجدول ، وعلى اسمه الكامل ، وتاريخ مولده ووفاته ، ومعطياته للمعجم واهم مؤلفاته اللغوية ، مع ملاحظات للمراجع ، وكل باب من هذه المواد في خانة من الجدول .

ثم هناك جدول آخر يشغل صفحة واحدة يتناغى لذة ومتعة علمية عنوانه « امهات المعاجم العربية واشهرها مصنفة بحسب نهجها » . فهذا الجدول يحتوي على اسم المعجم ، واسم مؤلفه ، وتاريخ وفاته ، ومكان الوفاة ، والنهج الذي نهجه المؤلف في وضع المعجم ، والميزات التي له ثم الملاحظات . واسماء هذه المعاجم يعرفها القراء ، غير ان العبرة التي تبعث على عميق الاطراق ، والتامل الصامت ، ونحن اليوم مقبلون على مفتتح القرن الخامس عشر ، ان نفكر في هؤلاء الذين بنوا لنا كعبة لغتنا ، واحاطوها بالاسوار والحصون ، وكان كل واحد منهم انقلب في التاريخ سادنا لها ، وننظر الى اماكن وفياتهم فنجدهم موزعين في رقعة الضاد من خراسان ونيسابور والري وزمخشر وبغداد ومكة الى القاهرة ودانية وقرطبة في الاندلس . الا يشعر كل عربي بعربيته هذه انها زينة الدنيا ، معطية المحاسن للحضارات ، وانها خالدة باذن الله ، ما خطت قدما العربي فوق الارض . واني بهذه المناسبة وانا اكتب هذه العبارة من الفصل ، اشكر لاخي العلامة الاستاذ البير اديب صاحب « الاديب » ، حسن ذوقه المشهور ، فانه من عادته ان يقتبس عبارة حكيمة يجعلها على الغلاف من خارج تلتقطها العين بسرعة ، وفي عدد ابريل الماضي كانت هذه الكلمة الحكيمة الفلسفية للعلامة اللغوي الاستاذ محمد العدناني وهي : « ارى ان المجد اللغوي لا يقل قيمة عن المجد السياسي في الامة الصاحية حديثا من سباتها العميق » .

وارى من المستحسن ان انقل اليك جدول « امهات المعاجم العربية واشهرها مصنفة بحسب نهجها » ، مقتصرا من الجدول على اربع خانات تضمن اسم المعجم ، واسم المؤلف وتاريخ وفاته ومكانها ومجموع هذه المعاجم عشرون معجما :

اسم المعجم	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	مكان الوفاة
العين	للخليل	٧٨٦ م	البصرة
البارع	للقالي	٩٦٧ م	قرطبة
تهذيب اللغة	للازهري	٩٨١ م	خراسان
المحيط	للصاحبي	٩٩٥ م	الري
المحكم (والمحيط الاعظم)	لابن سيده	١٠٦٦م	دانية (الاندلس)
القريب المصنف	لابن سلام	٨٣٨ م	مكة
الالفاظ	لابن السكيت	٨٥٨ م	بغداد
المخصص	لابن سيده	١٠٦٦م	دانية (الاندلس)
الحروف	للشيباني	٨٢١ م	بغداد
أساس البلاغة	للزمخشري	١١٤٤م	خوارزم
المصباح المنير	للفيومي	١٣٦٨م	حماة
الجمهرة	لابن دريد	٩٣٣ م	بغداد
المجمل	لابن فارس	١٠٠٤م	الري
المقاييس	لابن فارس	١٠٠٤م	الري
ديوان الادب	للفارابي	٩٦١ م	زبيد
الصحاح	للجوهري	١٠٠٣م	نيسابور
العباب	للصاغاني	١١٨١م	بغداد
لسان العرب	لابن منظور	١٣١١م	القاهرة
القاموس المحيط	للفيروز ابادي	١٤١٥م	زبيد
تاج العروس	للزبيدي	١٧٩٠م	القاهرة

وقد يلاحظ ان هذا الترتيب تابع للنهج الذي اتبعه المؤلف ولذلك جاء تاريخ الوفيات مختلفا . ونرى ان آخر هذه المعاجم وهو « تاج العروس » قد الف قبل غزوة نابليون لمصر ببضع سنين .

لغة القانون في الدول العربية : هذا كتاب صغير الحجم ككتب الجيب عادة ، وصفحاته لا تزيد على ١١٥ صفحة . له مقدمة حية بارعة « لاديب الشام الكبير علي الطنطاوي » ، قاضي دمشق وقتئذ ، ومطبوع في دمشق نفسها سنة ١٩٥٢ وهو من منشورات « حلقة الدراسات العلمية » ، ومهدى من المؤلف « الى الاستاذ الجليل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي اجلالا وتقديرا » .

غير ان صغر حجم الكتاب الصاروخي ، لم يؤثر شيئا في قوة اختراقه الآفاق في العالم العربي على الصعيدين ، صعيد الشعوب العربية حيث يلتقي في كل قطر المشرع والقاضي والمحامي ، على بساط ثقافي تجري له في دنيا القانون مصطلحاته التي قلما تتفق ومصطلحات القطر الآخر ، والصعيد الآخر هو صعيد الحكومات العربية . فهذا الكتاب احدث اثره العميق في هذين الصعيدين ، مع اننا لو جئنا بمصطلحات كل قطر وقابلناها بمصطلحات اي قطر آخر ، بدت لنا رقاع شطرنج او الوان خرائط جغرافية ، وكل قطر عربي يوجد في رأس مواد دستوره او قانونه الاساسي يقول ان العربية لغة البلاد ، واكثر الدساتير يقول ايضا في معرض الانتماء القومي ان القطر ... جزء من الامة العربية .

فكانت رسالة هذا الكتيب ان يغرز المهاميز في خواصر المسؤولين يستحثهم عروبيا على التحرر من قيود المصطلحات التي هي فاسدة او غريبة ، فتلقاه معظم القوم ، بل بمعنى ثقافي عام جميعهم ، بالترحيب وحسن الاستجابة لدعوته . وكانت هذه الصرخة المستغيثة ، قبل اليوم باكثر من ربع قرن ، محركة لوجدان العربي المسؤول في وجدان لغته ، ليذب عن حرماتها بين ايدي ابنائها ، ويدافع عن قدسيتها وكأن صوت حافظ ابراهيم صار هنانه تسمعه كل اذن .

واثير موضوع اللغة والتشريع في المؤتمر الاول للمحامين العرب في دمشق سنة ١٩٤٤ ، فمهد ذلك في تنبيه الاذهان ، ومما قاله المؤلف ، يا رعاه الله ، في محاضرته التي القاها في ذلك المؤتمر ، وعنوانها « اللغة القانونية في الاقطار العربية ووجوب تصفيتها وتوحيدها » : « ظلت اللغة العربية لغة التشريع والقضاء والفقه الى ان زالت دولة العرب ، فاخذت اللغات الاعجمية تتسرب الى الادارة والسياسة ، وما ان قامت دول المحاربين الاعاجم حتى اصبحت لغتهم لغة القضاء ، بينما ظلت لغة الفقه عربية مستمدة من ام التشريع الاسلامي العربي المبين ، فلما اخذت الدولة العثمانية ان تقتدي باوروبا في التشريع والتقنين اخذت تترجم القوانين الغربية الى اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية ولغة القضاء فيها ، فغدا القانون في البلاد العربية قانونا اجنبيا ، كتب بلغة اجنبية ويحكم به في الغالب قاض غير عربي » (ص ٦٧) .

وهذه امثلة من التباين في اللغة القانونية والمصطلحات الحقوقية :

— « الدستور » في مصر وسورية ولبنان هو « القانون الاساسي » في العراق وشرق الاردن .

— « الهيئة التشريعية » بمصر هي « البرلمان المصري » ، وفي العراق « مجلس الامة العراقي » .

— « مجلس الشيوخ المصري » يقابله في العراق « مجلس الامة العراقي » .

— « اللائحة » في مصر هي « النظام » في العراق ، و « المرسوم » في سورية ولبنان .

— « المرسوم » في مصر وسورية ولبنان هو « الارادة الملكية في العراق » (١٩٤٤) .

— « القرارات » في سورية ولبنان ومصر هي « التعليمات » في العراق .

وفي سبيل توحيد المصطلحات القانونية (هذا قبل ربع قرن) يرى المؤلف تاليف هيئة علمية عليا تمثل جميع الاقطار العربية ، فتقرر المصطلحات والمعربات اللازمة الاعجمية ، ثم تتخذ الوسائل الكافية لنشرها وتعميمها واعتمادها في تشريع كل قطر من الاقطار .

وقال في الفصل الاخير وعنوانه « التشريع والمشرعون » :

« ان التشريع في مختلف البلاد العربية ، انما يضع اكثره اناس لا يتصفون بصفات المشرعين ، ينقص بعضهم العلم الصحيح ، وتنقص آخرين الثقافة القانونية العميقة ، وينقص بعضهم الآخر الاختصاص في النوع الذي يتصدرون التشريع فيه ، واكثرهم لا يتقن العربية ، بل ان فيهم من لا تربطه بعلومها وآدابها رابطة من صلة او نسب او ميل ، فهل من عجب بعدئذ ان كانت صياغة القوانين فاسدة لا يقرها الفكر السليم ، ولا يرتضيها المنطق العربي الاصيل» .

وبعد شكرنا العظيم للمؤلف البارع براعة النطاسي في تشخيص الامراض والاعراض ، في هذا الباب وكل باب في كتبه الفريدة النمط الجوهر ، ان لنا ملاحظتين منبعثتين عن حبنا الشمول في العروبة : الاولى ، ان الوضع لا بد ان يكون قد تقدم في خلال ربع القرن الاخير ، وما عقد في خلال هذه المدة من مؤتمرات رمت الى هذه الاهداف . والثانية ، كنا نتمنى لو كان المؤلف الموسوعي الدكتور عدنان الخطيب قد اوجز لنا حالة التشريع في المغارب العربية الشقيقة اذ غاية العرب ان يسيروا سيرا واحدا موحدا الى مصير واحد موحد ، وعسى عناية المؤلف تمتد في الطبعة

اما كرمي فلم انطره

ان اكن سمراء فالحسن نصيري ... انني نرجسة الوادي النضير
يا بنات الحي لا تنظرن لي ... نظرة الساخر مفلول الضمير
انها الشمس احالت مشرقي ... شفقا في الحسن مفقود النظير
اخوتي جاروا .... فيا لي منهم ... لم يكن كرمي لديهم بأثير
فاقاموني .. على كرم لهم ... بينما كرمي مباح للمغير

الاسكندرية ... عبد العليم القباني

الثانية الى مغاربنا العربية لنعلم من الحال هناك ما نشعر بشوقنا اليه . اليس المصطلح من « المحيط الى الخليج » مصطلحا ثقافيا محضا ؟

« تاريخ القضاء الاداري ونظام مجلس الدولة في سورية » : صدر هذا الكتاب الخطير الشأن في بابه سنة ١٩٧٥ (معهد البحوث والدراسات العربية) من الحجم الوافي ، يقع في ٣٧٢ صفحة ، ولا اعتقد ان فائدته مقصورة على رجال القانون كما يتبادر الى الذهن ، وانما في منطوياته غذاء ثقافي متنوع مما يهم امره كل عربي على العموم وكل عربي في سوريا ولبنان ومصر على الخصوص . وفي هذا المجال الرحب ، بلغت خبرة المؤلف الدكتور عدنان الخطيب غاية أعماقها ، موسوعي العلم جامعا لاطرافه ، مارس العلوم نظريا وعمليا ، فصح له من التجارب ما أهله ليكون من الرجال الذين يبنون الدولة ويرفعون اعمدتها . فالثروة التي يملكها هي ثروة الامة العربية .

مبدا الامر في هذا الكتاب ينبع من مؤسسات القضاء الاداري في سوريا ، ولباب هذه المؤسسات « مجلس الشورى العربي » الذي عاش من خريف ١٩١٨ الى ١٩٢٠ وبعد دخول الفرنسيين دمشق تغير الاسم الى « مجلس شورى الدولة » واستمر هذا الى ١٩٤٩ فتغير الى « المحكمة العليا » وفي سنة ١٩٥٦ تغير الى « مجلس الدولة » وذلك بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا .

وننقل عن « السجل الذهبي » الذي وضع بمناسبة مرور خمسين عاما على انشاء اولى المؤسسات سنة ١٩١٨ :

« اثر جلاء الجيش التركي عن بلاد الشام في نهاية الحرب العالمية الاولى ، تسلم الفريق علي رضا الركابي حكم البلاد يوم ١٩١٨/١٠/٥ واعلن عن تاليف حكومته برياسته يوم ١٩١٨/١٠/٥ وافتتح يوم ١٩١٨/١٠/٦ مجلسا تشريعيا باسم « مجلس الشورى العربي » فقام المجلس بانتخابه رئيسا له ثم بتاريخ ١٩١٨/١٠/٧ اقر قانونا اساسيا للبلاد اعطى فيه لاحدى شعبه ولاية القضاء الاداري وبتاريخ ١٩١٩/١١/١٤ تولى رياسة المجلس السيد علاء الدين الدروبي وخلفه بتاريخ ١٩٢٠/٢/٢٣ السيد عبد الرحمن اليوسف وبتاريخ ١٩٢٠/٣/٨ اعلن المؤتمر السوري استقلال البلاد السورية وشغل السيد علاء الدين الدروبي رياسة مجلس الشورى العربي للمملكة السورية في اول حكومة دستورية ، فلما كلف بتاريخ ١٩٢٠/٧/٢٥ بتاليف الوزارة عاد فخلفه في الرياسة السيد عبد الرحمن اليوسف » .

و« مجلس الدولة » هذا عاد فانشىء بعد الانفصال وتولى رياسته الدكتور عدنان الخطيب من ١٩٦٩/٣/١٠ ـ ١٩٧٤/١٢/٣١ .

نقف عند هذا الحد في جولتنا حول العلامة الموسوعي الدكتور عدنان الخطيب ، مكبرين معظمين كتبه جميعا اذ كلها جوهر ولباب ، وعمق واحاطة . متمنين ان يكثر في الامة العربية من امثاله ، الناسجين على منواله ، واذا زكا العلم وطاب ، فلما يزكو ويطيب في ظلاله .

وفي كتبه الاخرى ، غير التي تناولناها في هذه النوبة ، مواقف فضل جمة ، نحاول ان نكملها في نوبة اخرى بحول الله ومنه . ومن صميم قلبي عاطفة الشكر ازجيها الى اخي العلامة الاستاذ البير اديب ، فصدره ارحب من صفحات « الاديب » ، وخلقه العالي ليس له ضريب .

راس المتن ـ لبنان ... عجاج نويهض



فوزي عطوي

أزمة الادب العربي المعاصر

بقلم فوزي عطوي

* * *

اصبح الحديث من « ازمة الادب العربي المعاصر » ، بل الادب المعاصر عامة ، من الاغراء بحيث لا يكاد قلم واحد من اقلام المهتمين بالشؤون الثقافية ، والادبية منها بوجه خاص ، يحجم عن الخوض فيه ، وتبيان دوافعه واسبابه ، ودراسة واقعه ، ومحاولة استشفاف النتائج التي يمكن ان تترتب عليه ، مع تشخيص ناجح حينا ، وفاشل حينا آخر ، لعوارضه ، ووصف ناجح او فاشل ايضا لعلاجه والخلاص منه .

وكان آخر احاديث ازمة الادب العربي المعاصر ، ما اثير في مجلة « الهلال » القاهرية ، من ضمن حملة منظمة قادها رئيس تحريرها الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وشارك فيها ، على مدى شهور ، كتاب ومفكرون من غير قطر عربي ، ثم اقفل النقاش ، دون سابق انذار ، ولم يفسح لنا في المجال لظهور راي لنا ، قد يخالف اتجاه معظم الابحاث والمقالات التي انتظمت في تلك الحملة الفكرية الهامة ، فكان لا بد من ابداء ذلك الراي ، هنا ، على صفحات « الاديب » ، لاقتناعنا بأن كل المنابر الفكرية صالحة ، بل مدعوة ، الى معالجة ازمة الادب العربي المعاصر :

عودة الى جلسة المناقشة

والواقع انني حين قرات في « الهلال » لاول مرة ، حديث الدكتور حسين مؤنس حول هذه الازمة ، وافتتاحه جلسة مناقشة هذه القضية الخطيرة التي يشعر بها كل حامل قلم ، على الارض العربية الواسعة ، ثم لما قرات مقاله الثاني حول اعادة التقييم ، شعرت ان الدكتور مؤنس لا يبث كلاما على غير طائل ، ولكنه يستانف حركة ادبية اصلاحية كان قد بداها منذ فترة غير قصيرة ، حين طرح مقاله الشهير « الفكر العربي — الى اين » في جريدة « القبس » الكويتية التي كان من قسمتي ودواعي سروري ان التقي معه في تحرير عدد كبير من افتتاحياتها ومقالاتها الاسبوعية السياسية ، فضلا عن عدد من القصائد والكتابات النثرية المتنوعة ، خلال الفترات المتقطعة التي كنت ازور فيها الكويت الشقيق وعددا آخر من الدول العربية لالقاء محاضرات في نطاق الحلقات التدريبية التي ينظمها المركز التنفيذي للتنمية (نوسيرا) لموظفي المؤسسات العامة والخاصة .

ولم تقتصر قيادة الدكتور حسين مؤنس لتلك الحركة الادبية الاصلاحية على مقال اثار ردود فعل كثيرة ومتباينة على صفحات الصحف الكويتية ، واخص بالذكر من تلك الردود ، مقال الاستاذ الدكتور محمد اسماعيل موافي (العدد ١٧٨٢ تاريخ ٧٧/٥/٦ من القبس) الذي حمل عنوانين مطولين : « لا مجال للمقارنة بين جيل الرومانسية وجيل الواقعية — مطلوب لغة ثالثة مألوفة تخلو من صعوبة الفصحى وابتذال العامية » ، اقول : لم تقتصر قيادة الدكتور حسين مؤنس على مقال واحد ، ففي عداد مقالاته الكثيرة التي تحمل في الغالب عنوان « كلمة طيبة » ، مقال نشره في « القبس » ايضا (العدد ١٤٣٠ بتاريخ ٧٦/٥/١٢) يحمل عنوانا جريئا وقويا : « شيء واحد يحتاج اليه الفكر ليزهر : الحرية ، وشيء واحد لا يحتاج اليه : الدولة » .

لكل ما تقدم ، عجبت كل العجب حين وجدتني امام مقالة « تدهور الفكر العربي المعاصر » التي انتظمت افتتاحية في « الهلال » ، اذ قرات طروحات كثيرة قدمها رئيس تحرير المجلة ، وتساؤلات لا تنتهي حول اسباب تدهور الفكر ، ودوافع ما يعانيه الادب العربي المعاصر من ازمات ، ولكنه ترك المجال فسيحا امام الكتاب والنقاد لكي يدلوا بدلائهم في هذا الموضوع ، موحيا اليهم انه لا يملك اجابات واضحة حول تلك الطروحات والتساؤلات ، في وقت كان الدكتور مؤنس قد سبقنا جميعا الى تشخيص الداء ، ووصف الدواء .

يا احمر الخدين

ويأذن لي الاستاذ الدكتور مؤنس ان استعير كلاما له في « القبس » يقول فيه : « ما دامت القاعدة الاساسية في

الاذن بنشر اي شيء هي قاعدة « يا احمر الخدين » . فلا تتوقع ان يكون هناك فكر او ادب او ادباء » .

وما دامت موسيقيات وزارات الاعلام تنتق الالوف لتلحين انشودة « يا احمر الخدين » بكل طبقة موسيقية ، فلا امل في فن او ادب او موسيقى . هذا يفسر لك العقم الادبي الذي نعانيه الآن : انه ثمرة ربع قرن من تطبيق قاعدة « يا احمر الخدين » !

ثم يأذن لي الاستاذ الدكتور مؤنس ان استعير كلاما آخر له يقول فيه : « اذا كان الكاتب العربي في كل مكان ضحية الوزارات من ناحية ، والموظفين الصغار (الذين يتولون الرقابة بتشدد لا مبرر له) من ناحية اخرى ، فكيف نطمع في ان يظهر في هذه الظروف عندنا كاتب من طراز الفحول القدامى ؟ » ؟

واكتفي بهاتين الاستعارتين ، وان يكن بين يدي الكثير مما استطيع استعارته ، بعد ، من كلام للدكتور حسين مؤنس ذاته ، للدلالة ، على ان عظمى ازمات الفكر والادب ، في هذا الزمان ، هي ازمة الشعور بأن القلم محكوم بأمزجة ، ومقيد باعتبارات تضطره لارضاء الطفيليين والمتطفلين ، فضلا عن اضطراره لنيل رضى الرقابة والرقباء الذين لا يملكون من معطيات الرقابة سوى القلم الاحمر العريض !

ان الانطلاقة الفكرية ، في مناخ الحرية الكاملة ، قادرة وحدها على تفجير العبقريات ، وتتنيم العمالقة الذين لم يكونوا ، ولن يكونوا يوما وقفا على جيل دون جيل ، لا بل ان الحرية لو توفرت للاديب ، فلم يكن مهددا بقطع رزقه ورزق عياله ، ولا بتشريده من بلاده ، ولا بملاحقته وسجنه باسم القوانين التي تطبق ساعة يتعارض الفكر مع سياسة الحاكم ، وتعطل ساعة يستحيل القلم الى مبخرة ، والى طبل وزمر ، للتسبيح بآلاء الحاكم ، لجعلت قدرته على العطاء تتجاوز كل حد ، فيثري الفكر ، ويغني الادب ، ويجعل العمل الحضاري انجازا انسانيا متصلا .

من مسائل الازمة

واذا كنت لا اجد نفسي في مقام المستطيع حقا مناقشة جميع المسائل المثارة حول اسباب تدهور الفكر العربي المعاصر ، فاحسب ان بعضا من تلك المسائل يعني مثلما يعني امثالي من العاملين في مجالات الادب والشعر والدراسات الانسانية بوجه عام :

اولى هذه المسائل : ازمة النشر . فليس صحيحا ان ثمة ازمة باحثين مجيدين ، او مؤلفات جيدة في البلاد العربية ، بمقدار ما هنالك ازمة نشر حقيقية ، اذ لا يستطيع منصف ان ينكر ان عملية نشر المؤلفات ، ناهيك بالمقالات والقصص والقصائد في الصحف والمجلات (وخصوصا التي تدفع بدلا لما يكتب فيها) تخضع لاعتبارات ومقاييس لا تمت بصلة على الدوام الى جودة المادة الادبية ، او صلاحيتها للنشر ، بالمقياس الفني الصرف .

واسارع ، لكيلا يساء فهمي ، الى التوضيح بأنني احد الذين تهيأت لهم ، بحمد الله وفضله ، اسباب وفرص كثيرة ، وفي بلدان عربية عديدة ، وعلى الاخص في لبنان ومصر والعراق والاردن والكويت والبحرين ، لنشر العديد من المصنفات والدواوين والدراسات الادبية والقانونية والسياسية ، وما زلت الى الآن على صلات متينة ووثيقة بكبريات دور النشر في الوطن العربي ، وكبريات صحفه ومجلاته .

اخلص من هذا الى انني ، شخصيا ، لا اعاني من ازمة النشر ، لكن ذلك لن يعميني ، كما ينبغي الا يعمي غيري ، عن رؤية الواقع المؤسف الذي يعانيه اخوان كثيرون يملكون المادة الجيدة ، ولكنهم لا يوفقون الى الناشر الجيد ، وعند اخواني الاساتذة الجامعيين الخبر اليقين ، اذ يصعب عليهم نشر اي بحث جامعي ، في يسر وسهولة ، ما لم يكن ذلك البحث مقررا جامعيا يدر على الناشرين الارباح المرجوة .

كتب الارصفة

ثانية المسائل : قول الاستاذ الدكتور حسين مؤنس في « الهلال » : « كتب الارصفة لا تعلو في احيان كثيرة عن مستوى الارصفة . انها ليست كتبا يغطيها تراب ، بل هو تراب يغطيه تراب » .

واذا كنت افهم مرمى الدكتور مؤنس ، من وراء هذا الكلام ، وكونه يعني بالضبط والدقة ، تلك الاوراق الرخيصة المضمون التي تنتظم فيما يسمونه « كتابا » ، طالما انه يحمل عنوانا ضاربا في اعماق الالغاز والاحاجي ، ويتضمن الفاظا هي الى الهلوسات اقرب ، وبالهرطقات اشبه ، فانني اخشى ان يفهم القارىء غير المتأني ، ان كل كتاب معروض على الرصيف لا يعلو عن مستوى الارصفة ، وانه تراب يغطيه تراب .

ذلك ان لي من خبرتي وتجربتي ما يؤكد ان المكان الذي يعرض فيه الكتاب لا يقدم ولا يؤخر شيئا في قيمة مضمونه ، وفي اهميته الادبية . لا بل اضيف الى هذا ، انني اتحمل بكل جراة ، مسؤولية انتشار كتب كثيرة من التراث الادبي القيم ، على الارصفة ، وفوق عربات الباعة المتجولين ، وفي افخم واجهات المكتبات العربية ، فيما الفته وحققته وعربته من كتب تجاوز عددها الى الآن الخمسين كتابا ، وكلها تباع بأثمان معقولة ، لانني لم افرض على

الناشرين اي شرط مادي معجز ، بل كان شرطي الوحيد هو بيع الكتاب بسهولة ، لكي يصبح في متناول الكثرة الساحقة من ابناء شعبنا ، طالما ان الحكومات لا تعمد الى تشجيع الطبعات الشعبية باسعار زهيدة للراغبين في القراءة ، على ندرة الراغبين في القراءة .

وكانت فلسفتي ، في هذا العمل الذي اجرؤ على تسميته *بالانجاز العلمي* ، *دون ان اتخفى وراء قناع* التواضع الزائف والذي اتحمل كامل المسؤولية عنه ، ان بناء الوطن يبدأ ببناء الانسان ، ولا بناء للانسان ما لم نبن فكره اولا . وقد كفانا عناية بغذاء البطون ، وازراء بغذاء العقول .

وويل ، بعد هذا ، لبيت تكون مكتبته اصغر من مطبخه ! !

لقد خرجت يوما من منزلي ، قبالة جامعة بيروت العربية ، فوجدت امام البناية بائعا متجولا يبيع كتبا مختلفة المواضيع على عربة ، ولمحت لديه كتابا عن « العسكرية العربية » ، فلما سالته عن ثمنه ، فوجئت بأن الرقم الذي عينه لا يبلغ ربع الثمن الذي طلبه ، قبل يوم واحد ، صاحب مكتبة مجاورة ، للكتاب نفسه . فما رأي الاستاذ الدكتور مؤنس في هذا الواقع ؟ !

لغة الكتابة

وثالثة المسائل التي تهمنا ، هي مسالة اللغة المستعملة كاداة للكتابة الادبية : انني في غير تحفظ ولا تردد ، اؤيد كل دعوة طيبة ، كدعوة الدكتور مؤنس الى احلال اللغة الفصحى في المحل الاول من ادوات الكتابة . وليكن معلوما ان اية معادلة بسيطة يجريها المتعصبون للفصحى او المتعصبون عليها ، تثبت لهم جميعا ان الدعوة الى الكتابة بالعامية تعني حتما تهديما للفصحى ، بينما الدعوة الى الكتابة بالفصحى لا تضيق ذرعا باللهجات العامية ، بل تساعد على تنميتها وتطويرها وترقيتها ، وهذا ما سبق ان اكدت عليه في المقدمة التي وضعتها لكتاب المؤرخ اللبناني الشاعر الباحث الاستاذ فوزي سابا « المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى » ، وقد سبق لمجلة « الهلال » ان نشرت قصيدة عن هذا الكتاب للشاعر المهجري المغفور له شكرالله الجر .

الشعر بين الاصالة والحداثة

ورابعة المسائل التي تهمنا ، هي مسالة الشعر العربي ، في صراع القديم الاصولي ، والمحدث الفوضوي : ان من الخرق المظيم اتهام الاصولية في الكتابة ، واحترام قواعد اللعبة الشعرية ، بل قواعد الفن الشعري ، بالكلاسيكية القديمة البالية ، ومن ثم اسباغ نعوت الخبرة والتطور والحداثة على كل تلك المعميات الغريبة العجيبة التي تحاول ان تعني كل الشعر ، فلا تستطيع ان تعني من الشعر شيئا ، وحسبها من المجد الزائف انها تعجز (ولا اقول تزري) عن نظم بيت شعري اصولي واحد ، فتحطم الاوزان والقوافي ، ولا تستطيع ان تقنع اسماعنا ولا اذواقنا بايقاع واحد من *الايقاعات التي تشبه رقصات الجنون* ! !

ان اي شاعر معاصر يحس اشد الالم وهو يرى ان ضوء الشمس الساطع اصبح في حاجة الى من يبرهن على وجوده ، فيرى ان حاله كما وصفها امام الشعراء العرب ، ابو الطيب المتنبي :

وليس يصح في الافهام شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

ومن عجب ان نجد انفسنا ، ونحن نحترم الاصول والقواعد الفنية الابداعية ، مضطرين الى اقناع « كتاب الزمان الاخير » بصحة موقفنا ، وسلامة نهجنا الادبي ، في وقت ينبغي لهم هم ان يقتنعوا بعبارة واحدة من العبارات المفككة المخلعة التي يملأون بها اعمدة الصحف ، فنقراها من اولها ، ونقراها من آخرها ، وقد نبدأ بوسطها ، ونقفز كالبهلوان بين سطر وسطر ، فلا يتبدل من واقع «قصائدهم» المزعومة شيء ، وتبقى النتيجة واحدة ، اذ لا نفهم شيئا مما يكتبون حتى ولو تبحرنا في فك السحر وحل الطلاسم . وتكون واثقين انهم يفهمون ما نكتب ، ولكن يصعب عليهم الاعتراف بعجزهم عن الانسلاك في موكبنا الاصولي المتجدد .

لقد بني الشعر العربي على ستة عشر بحرا عروضيا ، عدا مجزوءاتها ، ثم عمد المجددون الاصوليون الى اعتماد البناء التفعيلي الى جانب البناء العروضي ، ومع كل هذا ، لم يحظ بناء من هذه الابنية الاصولية بشيء من اعجاب مدعي الحداثة ، فانحرفوا على سجاياهم عن صراط الفن المستقيم ، واتحفونا بهذه « الروائع » التي لا نحسب احدا من هذا الجيل ، او من الاجيال المقبلة ، سيروي عبارة واحدة من عباراتها .

وبعد ، فقد اراني قسوت في موضع ، وتلطفت في موضع آخر ، ولكن وراء المسائل التي وقفت عندها ، بعضا من التفسيرات التي تبرر تدهور الفكر العربي المعاصر .

فاذا لم يكن لهذه الكلمة ان توفي الموضوع حقه ، فحسبها انها اسهمت بتواضع في جلاء جوانب دقيقة من قضية الادب المعاصر .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٢
فوزي عطوي



بقلم سكينة الشهابي

* * *

اظن ان اقامة الاستعمار في الوطن العربي قد تستمر اكثر مما نتصور ، ومما تداعبه به احلامه . وتحلو لي هنا المقارنة بين الاستعمار والشيطان لان وجه الشبه واسع رحب ... ننظر الى ما حولنا من مظاهر التخلف فنلعن الاستعمار . نلعنه من اجل جهلنا ونلعنه بسبب فساد اخلاقنا . ونلعنه بسبب تفرقنا وانقسامنا ، ونلعنه بسبب غفلتنا وسذاجتنا .

والامر لا يختلف فيما يتعلق بالشيطان ، نغتاب الآخرين فنلعن الشيطان ، ونسيء اليهم فنلعن الشيطان ، ونكذب فنلعن الشيطان . ونعصي الله فنلعن الشيطان . انه وراء كل الآثام والشرور فيما يخيل الينا . وكاننا بذلك جردنا انفسنا من كل ارادة والقينا عنها كل مسؤولية .

ولو رجعنا الى القرآن الكريم لوجدناه يجعل للنفس الدور الكبير فيما يمكن ان نسميه الجانب السلبي من حياة المرء . يقول تعالى : « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » الا تدل هذه الآية على ان الانسان يستطيع ان يقود ذاته نحو الخير ان شاء ونحو الشر ان شاء . وهل بعد ذلك من شك في حرية الانسان وامتلاكه زمام نفسه . ولكن هذه النفس التي ظلمناها بجهلنا ستغدو ظالمة لنا حين تستبد وحين نشاء ان نلقي اليها بمقدراتنا ونحول بين عقولنا وبين التصرف القويم . يقول تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء . فطاوعت له نفسه قتل اخيه » .

وكاني بالعقل والنفس في تفكير العربي على جانبي نقيض ، العقل يأمر بالصلاح والنفس تأمر بالفساد . وربما وجدوا في النفس صورة ثانية للشيطان يجب ان يعصيها العاقل اذا اراد ان يطيع ربه . يقول البوصيري :

وخالف النفس والشيطان واعصهما . وان هما محضاك النصح فاتهم

ربما ظن ظان انني اريد الدفاع عن الاستعمار وتبرئة ساحة الشيطان .

وانا اقول : لا الى شيء من ذلك اقصد ، وانما اريد ان احمل عقل الانسان مسؤولية كبيرة .. اريد ان امنحه ثقة تحكمه بكل ما يتعلق بالانسان من اعمال . وكل تقصير يصدر عن الشخصية الانسانية وكل زلل او فساد لا يكون الا نتيجة لعدم قيام العقل بوظائفه كاملة . لناخذ شارب الخمر مثلا ، هل يمكن ان يعتبر ذا تفكير سليم وهو يسلب نفسه شعورها الى مهاوي الرذيلة ، ويجعلها اضحوكة للآخرين ، مضحيا بسمعته واخلاقه وصحته . وكذلك الرجل الكذوب .. واظن ان الامثلة لا يمكن ان تحصى عدا . وفي كل ما يمكن ان ناتي به من مثل نجد الشخص المثل به يمكن ان يستدر عطفنا ، او اسانا ، او ضحكنا لجمته ولعدم معرفته استعمال عقله .

ليس للشيطان سيطرة على النفس الا بمقدار الطريق الذي يشقه له العقل ، وهذا يعني ان العقل اكبر منه واقوى سلطة ، وسرعان ما يولي هاربا امام يقظة التفكير وصفاء الذهن .

نحن اذا الذين نلقي بزمام انفسنا الى الشيطان ، كما نستطيع ان ننتزع الزمام منه فيولي هاربا . فلماذا نرهب الشيطان ولا نرهبه ، لماذا نخافه ولا نخيفه ، لماذا نغمض اعيننا لينشر حباله ومكائده ثم نستيقظ فلا نجد لنا حولا ولا قوة لاننا نكون قد كبلنا انفسنا بقيوده وشدنا بوثاقه .

وما نقوله عن الشيطان نقوله عن الاستعمار : نصدق اكاذيبه وفلسفته ونغط بالجهل ثم نعد العتاد والعدد لنحاربه ونهزمه بقوة الحديد والنار ، وهو كائن في اعماقنا يتخذ عرشه فوق ضمائرنا . وكيف نهزم شرور الاستعمار اذا لم نهزم الشر من ضمائرنا ، وكيف نبدد جمعه وشمل تفكيرنا مفرق . الاستعمار شر والشر لا يقضى عليه بسلاح الكراهية فقط . الاستعمار فساد والفساد قد هد كياننا ونخر عقولنا وعشش في قلوبنا .

نخطيء ، حين نظن ان الاستعمار هزمنا بقوة الحديد والنار . الاستعمار هزمنا بالعقل وحده .

وفي اليوم الذي لن يحب الاخ العربي الاذى لاخيه العربي ، على الاقل ، في الساعة التي تنظر فيها شذرا الى التآمر والمتآمرين لا على المصالح العامة ولكن على المصالح الخاصة في اليوم الذي يعرف الفرد منا ان نجاحه ليس مرهونا بفشل زميله وان تفوقه لا يحد منه تفوق الكثيرين معه بل يزيده قوة وتمكنا .. في اليوم الذي نتعود النظر الى الامام ولا نخشى الطعنات الموجهة الينا من خلفنا ، لا من اعدائنا ولكن من اخوتنا واصدقائنا ، في اليوم الذي نحب الانسان لانه انسان مثلنا قذفت به الحياة على درب الشقاء ولا يستطيع ان ينتزع اشواكه وحده ما لم تمد له يد العون ، ما لم نبذل له الحب الحقيقي لا الحب النفعي الذي يزول بزوال المصلحة .. في ذلك اليوم سيقول لنا الاستعمار : وداعا ! لم يعد لي مكان فوق ارضكم لانكم عرفتم قيمة انفسكم .. يومها لن يوجه الينا مدفعا ولن يقذفنا بقنبلة لانه يعرف ان جدارنا لا تنفذ منه الحمم .

بين يدي الطبيب

بين يديك يخفق القلب ... يا هل ترى يسعفه الطب
انهكه الحب .. فهل نافع ... طبك من انهكه الحب
والنار في اعماقه اضرمت ... ابالعقاقير – ترى – تخبو
خطط له ما شئت .. لا ينثني ... وما له غير الهوى درب
اصغ الى دقاته .. انها ... تنبيك كيف العاشق الصب
راح يغالب الهوى عابثا ... ان الهوى – دوما – له الغلب
ولا تلمه ان صبا .. انه ... مرهف حس .. كيف لا يصبو
لا ترتجي يصغي الى رشده ... فما له رشد ، ولا لب
واصدق الحب جنون .. بلا ... عقل ، والا شابه الكذب
تحسبه معذبا ... انما ... هذا العذاب عنده عذب
قد اوقعته في شراك الهوى ... حبيبة لذ بها الحب
بات اسيرها فلم يلهه ... عن حبها أهل ولا صحب
تثيره فتنتها زانها ... التيه ، والاغراء ، والعجب
فاتنتي ، ملهمتي : شفني ... منك بعاد . فمتى القرب
حلقت كي اراك . من لم يكن ... يرقى ، فلم تدن له الشهب
فتهت في دنياك يزهو بها ... حسنك ، فهي عالم رحب
فانت في افق الهوى شمسه ... وانت منه الشرق والغرب
حبيبتي : ما ذقت طعم الكرى ... وبت والتسهيد لي داب
زيدي النوى ما شئت . اني به ... راض ، ولو ان النوى صعب
فالعاشق الصادق يبقى كما ... تهوين وهو الصائد الصلب
يحمل عبء البعد لم يثنه ... لوم على حبك أو عتب
لو انك الآن بقربي اذن ... يبرأ من علته القلب
لو ان لقيا جمعت بيننا ... اريك كيف الجد .. لا اللعب
اغصب منك قبلة حلوة ... يزيد من روعتها الغصب
وبعدها لا تسالي .. انني ... افعل ما يأمرني الحب
فيزدهي العيش كما اشتهي ... ويينع العمر فلا جدب

بغداد – ص.ب ١٠٣٨ ... محمد جواد الغبان

نحن وحدنا نستطيع ان نقتلع جذور الاستعمار لان هذه الجذور ليست في الثكنات العسكرية والمطارات الحربية ، والمخابر العلمية ، ان مكانها الاول في اعماقنا ، في هذه الغشارة التي تحجب عن عيوننا الحقيقة ، في هذه الاغشية التي تغلف عقولنا فتحول بيننا وبين النفاذ الى اعماق الاشياء .

ان الالم يعتصر قلبي وانا اسمع مناقشات طويلة هي للهدم اقرب منها للبناء ، مناقشات تتهم الناس في ذكائهم واخلاقهم ودينهم ؛ يسمعها السامع فيتصور انه لن تقوم للعرب قائمة وانه استعمار طويل الامد حقا لانه تجاوز جدران المساكن واسوار المدن وعشش في اعماق النفوس .

دمشق ... سكينة الشهابي



عبد الغني العطري

دفاع عن اللغة

بقلم عبد الغني العطري

* * *

منذ ان خلق الانسان ، واستعاض عن الاشارات والاصوات المبهمة ، بالكلمات الواضحة ، باتت اللغة وسيلة للتعبير عن رغبات النفس ، وهواجس الخاطر .

منذ ذلك الحين ... منذ قديم الزمن وغابر العصور ، واللغة السليمة اداة للتعبير عن الافكار التي تخالج الانسان ، والخواطر التي تداعبه .

وبقدر ما تكون وسيلة التعبير هذه ، سليمة ومشرقة : بعيدة عن الاسفاف والركاكة ، يكون الغرض من « اداة التعبير » هذه ، اقرب الى تحقيق الغاية ، وادنى من الوصول الى المطلوب .

وبكلمة اكثر وضوحا واختصارا ، ان اللغة — وهي كما وصفناها — اداة التعبير ، يجب ان تكون سليمة ، بعيدة عن الشوائب ، لا يعكر تسلسل الحديث فيها غلطة في اللغة ، ولا هفوة في الاملاء .

هذه كلها حقائق ومقررات بديهية . لا جدال فيها ، ولا خلاف حولها ...

كان هذا في الماضي البعيد ، وما تلاه من عصور ، بما فيها عصر الانحطاط والتخلف ... ثم عصر النهضة والتقدم . غير ان الحال ، منذ عقد او عقدين من الزمن ، بدا يختلف ، وبدانا نرى في بعض اقطار الوطن العربي ، من يتطاول لحمل القلم ، دون ان يدري خطورة السلاح ، الذي يحاول ان يمسك به ، ودون ان يستعين بالزاد الذي يؤهله لحمله . وبدانا نرى في صفوف من يملكون بعض المواهب ، من يستهينون باللغة — كاداة للتعبير ، ويحاولون ان يطرحوا افكارهم ، دون ان يعنوا باختيار الكلمة الحلوة ، واللفظة الرشيقة ، بل دون ان يحاولوا ان يجنبوا ما يكتبون ، التعابير العامية الركيكة ، والكلمات التي لا صلة لها البتة باللغة الام السليمة .

اكثر من هذا ، بدا بعض من قالوا لهم : « كونوا كتابا وحملة اقلام » ... بدا هؤلاء يحاولون ان يكتبوا ، وفتحت امامهم ابواب الصحف على مصاريعها ، فاذا بهم يظهرون عراة ، حتى من ورقة التين ، وبدت سوءاتهم للعيان ، وكان الامر مأساة حينا ، وملهاة احيانا اخرى ... وكان امرهم مضحكا ... ولكنه ضحك كالبكاء ! .

وظهر في عالم الادب والنشر ايضا ، افراد يحاولون ان يكون ظلهم رقيقا ، ودمهم خفيفا ، فاخذوا يبحثون عن الكلمة العامية ، لتحل مكان اللفظة الفصيحة السليمة ... وهم يعتقدون انهم يحسنون بذلك الى انفسهم ، ويرقون بنتاجهم الفكري ، حين ينجحون بتقليد اسلوب مارون عبود السهل الممتنع ، الذي جمع بين السخرية اللاذعة ، وبساطة الاسلوب ، الى سلامة اللغة .

ولعل هؤلاء يحسبون انهم يحسنون صنعا في هذا التقليد الاصم . وربما كان من الممكن ان يكون الامر كذلك ، لو حاولوا تجنب الالفاظ العامية ، والاغلاط اللغوية ، التي يرتكبونها عن علم او جهل .

مهما تنوعت الافكار ، ومهما تعددت الآراء ، ومهما كانت وسائل النشر : كتابا ، او مجلة ، او جريدة ، او آلة نسخ ، فان وسيلة التعبير — واعني اللغة — يجب ان تبقى محرابا يصلي فيه حملة الاقلام بخشوع واكبار ... وعلى حملة الاقلام ان يؤدوا لها فروض الاحترام والطاعة والتقديس ، فلا يستهينوا بأمرها ، ولا يدخلوا عليها كلمة ركيكة ، ولا تعبيرا دخيلا ، او لفظة لا ترضي ضميرهم الادبي . ومن يفعل غير ذلك ، يرتكب جريمة لا تغتفر ، بحق لغته وقوميته ووطنه ... ومن ينشر لكاتب ، او شاعر ، او قاص ، او محرر صحفي ، اي نتاج بلغة ركيكة مغلوطة ، واسلوب هزيل متهافت ، يسهم اسهاما مباشرا في هذه الجريمة .

لآلىء وجواهر

من قال ان الياسمين ازاهر ؟ — الياسمين لآلىء وجواهر
يهدي الي ، مع الصباح ، فغرفتي — اشراقة جذلى ، وجو عاطر
يثوي على القرطاس فهو تراكم — لقلائد يحتار فيها الناظر
النفس تلقى ذاتها بجوارها — وعلى شذاها يستريح الخاطر
سلمت أنامل من جنى زهراتها — وجزاه عن عجزي الاله القادر
والله يعلم وحده كم ذا انا — بالفضل معترف وفي شاكر
ساظل انكر — ما حييت — شمائلا — هي للشمائل قدوة ومنائر

دمشق — سعيد أبو الحسن

منذ شهر او شهرين ، وقعت بين يدي نسخة من جريدة يومية ، ووجدت في احدى صفحاتها شرحا لصورة ، لا يتجاوز السطرين ، فاذا بي احصي في هذا الشرح القصير ست غلطات لغويات بالتمام والكمال . . . وارتسمت على شفتي ابتسامة حسرة ، وتذكرت اننا كنا نحاسب المحرر حسابا عسيرا ، على الهفوة العابرة ، ونوجه اليه اللوم القاسي ، ولا نسمح بأن ندفع الى المطبعة ، باي مقال او تحقيق ، او خبر ، قبل ان نعيد النظر فيه غير مرة ؛ ونتدارك حتى النقاط والفواصل ، واشارات التعجب والاستفهام ، التي ربما غفل عنها الكاتب .

ذات يوم ، جاءني متأدب شاب ، ودفع الي مقالا ؛ ارادني ان اقراه ، وابدي له رايي فيما حواه . وقبل ان اتجاوز المقاطع الاولى منه ، وجدتني اتوقف واطوي المقال ، وارده اليه ، وعلى شفتي ابتسامة باهتة . وحين تساءل الشاب بدهشة عن سبب ما فعلت قلت :

— انني افضل ان تعيد فيه النظر ، وترتفع قليلا بأسلوبك عن العامية ، وتحاول الخلاص من اغلاطك اللغوية .

وهنا ثار المتأدب الشاب في وجهي وقال :

— اردت يا سيدي ان تقرا افكاري ، وتناقش آرائي : لا ان تعطيني درسا في اللغة والنحو والاملاء . . . ان امر اللغة تجاوزه الزمن ، ولم يعد يعنى بها الا اعضاء المجمع اللغوي ؛ ومجلته وكتابها . . . اما نحن جيل الادباء الصاعدين ، فقد تحررنا من جميع هذه القيود ، ولم نعد نعبأ الا بالفكرة والراي . . . وارجو ان لا اكون قد اخطأت باختيارك للمناقشة بمثل هذه الآراء الحديثة .

واكتفيت من مناقشة الشاب بهذا الرد القصير :

— لقد اخطأت انت . . . واخطأت انا ، فمعذرة ! .

بمثل هذا المنطق يحاول بعض المتادبين « الصاعدين » ان يفرضوا وجودهم وآراءهم وادبهم . انهم يزعمون ان اللغة قد « تجاوزها الزمن » ، وعليهم ان لا يفكروا فيها ؛ او يكترثوا بأمرها . . .

وما دام الامر كذلك ، فلماذا يكتبون « ادبهم » ، او قلة ادبهم بها ؟ . . .

لماذا لا يبحثون عن لغة جديدة ؛ والفاظ جديدة ؛ يعبرون بها عن « آرائهم وافكارهم » ؟ . . .

لماذا يحاولون ان يشوهوا لغة القرآن الكريم ؟ .

ولماذا يتعالون عليها ؟ .

ولماذا يزعمون ان امرها قد « تجاوزه الزمن » ؟ .

ان اللغة كانت وستظل ابد الدهر ؛ وسيلة نقية طاهرة ، للتعبير عن رغبات النفس ، وخلجات الضمير . . . وكل محاولة للمساس بها ، او تمزيقها ، مصيرها الى الفشل . وسيكون دائما مصير من يحاول التطاول عليها ؛ والادعاء بأن امرها « تجاوزه الزمن » ، سيكون مصيره . كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها — فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

دمشق — عبد الغني العطري



لورا الاسيوطي

شاعرة الحب والوفاء

بقلم غبريال وهبه

* * *

تلبد الجو فجاة بالغيوم القاتمة الحزينة ، فآويت الى فراشي ، واذا بالسماء تبرق ، والرعد يدوي ، والمطر ينهمر مدرارا ، وطفق يلطم زجاج نافذة غرفة الفندق المطلة على كورنيش الاسكندرية .. فأحسست بها طرقات توقظني لاتصفح جرائد الصباح التي شغلني السفر وتمطل العربة عن قراءتها ، فذابت كبدي اسى وشجنا ، وصعقني نبأ رحيل شاعرتنا لورا الاسيوطي التي طالما عبقت بعبيرها الجميل نغم الندوات الادبية بدار الادباء ، ونادي القصة ، ونادي الوافدين . ورابطة الادب الحديث ، وقصور الثقافة .

لم انم ليلتي : بينما كان المطر ما زال يهطل بغزارة ، ومصاريع النافذة ترتج وتصطدم تحت صفعات الريح التي كانت تعوي وتعول بالخارج كأنها تندب الشاعرة التي مال راسها كما تميل زنبقة الحقل براسها الجميل الى الارض وقد ذبلت وغاضت منها مياه الحياة ؛ وغادرت دنيانا على غير انتظار .

اهكذا يا قلب تكف فجاة عن الخفقان بعد ان كان نبضك ايقاعا هادئا لاعذب القصائد التي تفتحت على مشهد الحب ..

بريت فوق كفي في حنان كاني طفلة قدمت اليه
وراح الدفء من كفيه يسري ويجري في دمي من راحتيه
احاسيس تمس شغاف قلبي نحس بهـا تدفق من يدبه
ولكني احاول ان يراني واخفي انني ارنو اليه

وفي موضع آخر من القصيدة تقول :

وفي سحر الغروب مضيت ارنو الى سحر الجمال اللانهائي
وكان بجانبي يرنو هياما وفي عينيه خشية كبريائي
ورغم سهام عينيه اللواتي يصوبهن نحوي .. كالظباء
كتمت مشاعري ونايت عنه يطاوعني ويمنعني حيائي

تركت له اكتشاف مدى هيامي ولم انطق بما يصبو اليه
ورحنا في طريق الجسر نمضي وكانت راحتي في راحتيه
وكان الليل يسدل في دلال ويجمعنا معا في بردتيه

وفي انغام اخرى حالة هامسة تعبر الشاعرة عن اشواق قلبها نحو حبيبها في نهج متحرر :

تذكرني الزوارق وهي نشوى بيوم كان احلى ذكرياتي
صباحا حيث كان معي حبيبي يصارحني باسعد امنياتي
ركبنا زورقا طربا تهادى يشق الموج يجري في اناة
وبحر الحب داعبنا فتونا بموجات لدينا راقصات

وظل حبيب قلبي في حنان يغازلني بهمسات الغرام
يقول حبيبتي واقول حبي وفي النظرات اشواق الهيام

وبمثل هذه الابيات تمكنت لورا من الاعراب عن خلجات قلبها في بساطة وصدق مثير هزاز .

لم تكن لورا الاسيوطي شاعرة عاطفية فحسب ، بل كتبت الاناشيد الوطنية .. ولنستمع اليها وهي تنشد :

اني مسيحية والمسلمون هنا اهلي كلانا مياه النيل تروينا
اني مسيحية والمسلمون هنا اهلي دمانا تلاقت في ثرى سينا

يا دار «لقمان» في المنصورة احتبسي هذا «اللويس» الذي قد جاء يغزونا
وسجلي صفحة للنصر مشرقة في الكون اجمع عن ابطال وادينا

ولها اناشيد قومية اخرى منها « ساهرون » ، « انا الثورة » ، « علم الوحدة » ، « دعاة السلام » . وقد ترجمت لورا القصيدة الاخيرة الى اللغة الفرنسية التي تتقنها وارسلتها الى الفاتيكان بروما ولمجلس السلام العالمي ولمجلس الامن وفيها تقول :

هيا دعاة السلام هيا حماة السلام
هيا معا في نظام نبني صروح السلام
ودائما للامام

هيا هيا .. باسم الحرية هيا هيا .. باسم البشرية
باسم الاديان العلوية باسم استمرار المدنية
هيا باسم الغابر هيا باسم الحاضر
نصنع غدنا الناضر

وكانت لورا تنادي دائما بالاهتمام بالوعي السياحي ، ومن ثمر الرحلات السياحية انها عندما دعاها المجلس الاعلى للفنون والآداب لحضور مهرجان الشعر الخامس

ارز لبنان

يـا طيبه أرزا بـدت اشجاره	رمـز الخلـود والبنين منـارا
يعلو علـى قمم الجبال يودع	الايـام أو يستقبـل الادهارا
طابـت مشاربه وراق صبوحه	ثلجـا يـذوب وتـارة أمطارا
وغصونه كحلت بمرود شمسه	في ليلهـا وتفتحـت اسحـارا
وعـلا بهامته التي لـم يحنها	الا لرحمـة ربـه استـدرارا
وتغلغلت حتـى الوهاد جذوره	ولـواؤه حـول الكواكب دارا
قدسية أعـواده منهـا بنـوا	لجـلال ربـك معبـدا ومزارا
آثار (آمون) عفت ومحا البلى	في بعلبك علـى المدى الآثارا
وظللت يـا ارث الجدود مخلدا	رمـزا للبنان الفتـى وشعارا

بكاسين — لبنان

جرجي نصر

بالاسكندرية صحت ذات ليلة على صفير الموج ، واطلت من شرفة الفندق على البحر فرات السلسلة .. ورات طابية قايتباي .. فاطلقت العنان لذكرياتها :

سهرت هنا مع الاشواق وحدي | وطال بسي الحنين لذكرياتي
وناداني صفير الموج لحنا · لالقـي نظرة فيهـا حياتي

ثم قالت :

رايت الليل ممتـدا امامي | وسلسلة حوت كـل الجمال
وقايتباي قـام هناك يحكي | بصمت عـز ايـام خـوال
وامجاد الحروب وقـد ملاه | سكون .. من لياليه الطوال
يصوغ بفنـه التاريخ فخرا | وفوق جبينه سـحـر الجلال

كذلك نرى الشاعرة لورا في تقديمها لقصيدة « من رسالة الانسان .. العلم والايمان » التي فازت فيها بالميدالية الفضية من محافظة القاهرة تقول ان الانسان لكي يكون جديرا بانسانيته — يجب ان يتحلى بقيم روحية واخلاقية .. ان يضيء فكره بالعلم والمعرفة .. وان تجري بين حناياه عاطفة الحب .. والا ينحني الا لصوت الحق .. وان يخلص للاصدقاء ولا يتخلى عنهم .. ويتحلى بالصفاء ويتجه الى ربه في كل اوان .. ان يعرف ان لا قيمة للعقل بلا روح .. ولا للعلم بـلا ايمان .. وهذه هي اخلاق الصديقة لورا كما عرفتها وزاملتها في جمعية الادباء واتحاد الكتاب . ومما جاء في هذه القصيدة قولها :

يا رب قد علمتني لا انحني | الا لصوت الحق من عليائي
يا رب وفقني اقول لمن به | عيب صواب الراي دون رياء
لا اوهم الاعمى نفاقا انـه | هو مبصر وافيض في الاطراء
انا لا أريد الحقد يملا عالمي | والعيش بـين عداوة الاعداء

وقد حدثتني لورا انها ذهبت الى الجبهة بدعوة من قائد الجيش الثاني حيث القت قصيدة (صيحة الشعوب) بين صفوف مقاتلينا ، ونراها في هذه القصيدة تعود فتؤكد في اصرار على الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين عندما تقول :

عقيدتنـا ابـدا خالـدة | ومن اجلها سوف نطوي المحال

وها هي ذي لورا تتركنا لتسبح في الملكوت الاعلى : وتمرح حول اشجار الجنة ، فتحرمنا من حلاوة الائتناس برؤيتها ، والاستمتاع بنضارة صوتها الشجي عندما تشدو بأشعارها الرقيقة الحالمة ..

ولكن لا لن تبارحنا ذكراك ..
سنذكرك في غدونا ورواحنا ..
وفي دعائنا وصلواتنا ..
وفي ندوات الادباء ..
وفي الحدائق الغناء ..
وفي الخلاء ..
يا شاعرة الحب والوفاء ..

القاهرة

غبريال وهبه

البير اديب يذكر ويتذكر

بقلم جوزيف ابو زيد

* * *

البير اديب رائد من رواد الادب والفكر في لبنان ، وهو احد القلائل من اعلام الرعيل الاول الذين ما زالوا يعملون في حقل النشر على المستويات العالية ، ومجلته « الاديب » التي كانت منبرا رياديا للادباء والشعراء اللبنانيين والعرب، ما زالت حتى الساعة : تواصل كفاحها .

اولا يبدا بما يقوم به يوميا فيقول : « ابدا يومي بالعمل راسا ، لان مكتبي كما ترى في منزلي ، فانجز ما استطيع انجازه واستقبل بعض الزوار ، واحل بعض القضايا المتعلقة « بالاديب » تليفونيا ، الى ان يحين موعد الظهر . في الثانية اتناول طعامي وارتاح حتى الرابعة . وحوالي الرابعة والنصف ، اعود الى ممارسة اشغال « الاديب » حتى السابعة والنصف مساء . وقد كنت في السابق اطالع كثيرا ولكن بعدما اصبت في عيني الاثنتين ، واجريت لي جراحة للماء الزرقاء « كاتاركت » في عيني اليمنى ؛ واصيبت بعدها بالضغط « كلوكوم » وهي قيد المعالجة الدائمة يوميا ، كما ان عيني اليسرى التي لا ارى فيها ، صرت ـــ مع الاسف ـــ امتنع عن مطالعة الكتب ، واقتصر عملي وقراءتي على اشغال « الاديب » : ففي المواد الواردة الي ما يكفي لاشغال وقتي بقراءتها ؛ والتي اجد صعوبة في القيام بها .

« الاديب » الجامعة

اما « الاديب » التي عاشت وتعيش مع البير اديب حتى الآن فيساهم في ابحاثها ونشاطاتها كتاب وادباء وشعراء ، من سائر الاقطار العربية من الخليج الى المحيط ، فاذا تناولت عددا من اعدادها تجد فيه كتابا وادباء وشعراء من المغرب ، وتونس ، ومصر ، والاردن ، وسورية ، والعراق ، والكويت ، بالاضافة الى كتاب لبنان من مقيمين ومهاجرين .

واكثر كتاب الاديب هم مداومون ؛ اي يكاد المرء منهم يخص الاديب دون سواها بانتاجه .

امـا ابرز الشعراء الذين نشروا في الاديب ماضيا وحاضرا فيقول البير اديب : اذا لم تخني الذاكرة فليس من شاعر الا نشر في الاديب .

فمن يوسف غصوب الى الياس ابو شبكة ، امين نخله ، صلاح لبكي ، احمد الصافي النجفي ، جورج صيدح ، زكي قنصل ، الياس قنصل ، جورج كعدي ، سليم حيدر ، صلاح الاسير ، محمد علي الحوماني ، بولس غانم ، محمد عبد الغني حسن « شاعر الاهرام » ، الدكتور عبد العزيز الحبابي « مغربي » ، عمر ابو ريشة ، ثريا ملحس ، انور العطار ، عدنان مردم بك ، فدوى طوقان ، نازك الملائكة ، عبد الوهاب البياتي ، بلند الحيدري ، صفاء الحيدري ، الدكتور باقر سماكه ، فوزي عطوي ، بولس سلامه ، نزار قباني ، يوسف الخال ، بدر شاكر السياب ، وديع ديب ، الياس خليل زخريا ، رياض المعلوف ، الدكتور زكي المحاسني ، نعمة الحاج ، ابراهيم العريض ، سلافة العامري ، الدكتور كمال نشأت ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، نيليب لطف‌الله ، علي محمود طه ، علي الزيبق ، عمر ابو قوس ، فؤاد الخشن ، خليل الحاوي ، الدكتور بشر فارس ، الدكتور علي شلق ، نسيم نصر ، موسى سليمان وغيرهم ممن نسيتهم الذاكرة .

وفي الاديب نشأ معظم شعراء الشعر الحديث المشهورين اليوم . وعرفت الاديب بانها سجل للادب العربي الحديث ، اي انها تلتزم بنشر الشعر على الطريقة العمودية المعروفة الاصيلة والشعر الحديث الخ .

الاذاعـــــة

وانتقل البير اديب مـن مجلته « الاديب » الى ذكرياته الاذاعية عندما كان مديرا للاذاعة قال :

« هناك اشياء كثيرة حدثت . ولكن ليس كل ما يحدث ينشر ، انما من باب الفكاهة اذكر ان كثيرا من التوصيات كانت تردني لقبول بعض المغنين ، ففي احدى المرات ، تمكن احدهم من جلب عشرات التوصيات من بينها توصيات من رجال الدين وكبار الرسميين . فاحترت كيف استطيع التخلص منه بعد ان ثبت فشله في الغناء . وقد كانت التوصيات كلها تلح على انه في حاجة الى العمل ، فكيف استطيع ان اقنعهم بان الحاجة شيء وسماع الصوت الجميل شيء آخر ؟ فقررت له اذاعة في السادسة الا ربع مساء وكانت المحطة تبدا بالبث في السادسة تماما . ولما حضر هذا « المطرب » وكان يرافقه بعض الاهل والاصدقاء ، ادخلناه الى الستوديو واذاع اغنيته ، وكان موظف الارسال قد وصل المذياع بالراديو الذي امامه ، وهكذا استطاع رفاق الشاب سماع صوته دون ان يدروا ان الارسال محصور في الغرفة نفسها فقط . وبعد ايام معدودة انهالت علي رسائل المستمعين يثنون على الصوت « الجميل » فتأمل !

اما ذكرياته مع وديع الصافي فقد اختصرها كما يلي :

« عندما تقدم وديع للامتحان حتى يذيع في الاذاعة ، اعجبت بصوته كثيرا . وكان اسمه وديع فرنسيس . فقلت له اننا قبلناه ، وقد سميناه وديع الصافي لان صوته صاف . فقبل مسرورا . وهكذا عرف بوديع الصافي . اما الحقيقة التي جعلتني اختار له هذا الاسم الذي ناسب صوته فهي انني كنت قد التقيت صديقي المحامي صافي الصافي رئيس بلدية بكفيا قبل قليل من التقائي مع وديع . وقد هيمن اسم الصافي على مخيلتي وكان ما كان .

ويتابع البير اديب ذكرياته الاذاعية : لا شك ان الذين تحدثوا في الاذاعة ايام كنت فيها ، كثيرون ، وكانوا من كبار الادباء والشخصيات ، وكان لكل منهم اثره . غير ان الذي بقي منطبعا في ذاكرتي واثر في نفسي ، هو حديث الآنسة مي زيادة على اثر شفائها من مرضها ، وكان بصحبتها الصديق خليل بك الخوري شقيق فارس الخوري الزعيم الوطني الكبير . وقد قدم مي بكلمة مؤثرة ، الشاعر سعيد عقل الذي كان مذيعا في الاذاعة ، وكنت اعرف مي من مصر . وقد جرى حديث بيني وبينها تاثرت منه ، لانها شكت فيه مرارة ما لقيته من ظلم ، على ما يعرفه القراء .

ملتقى الادباء

ثم تلاحقت الذكريات ما قبل فترة الاذاعة ، الى الايام التي كان يجتمع فيها بعض الادباء والشعراء في ساحة الشهداء ، في مقهى « فتوح » وعن هذا يقول البير اديب :

« ان محل فتوح وكان يعرف قبلا بمخل شقير وكان ملتقى الادباء والشعراء ورجال السياسة ، وكان الزوار من الشعراء والادباء الذين يأتون من الخارج ، يقصدون مقهى فتوح للالتقاء باخوانهم شعراء لبنان وادبائه .

كنا نلتقي ليليا وكان من رواد المقهى ، الفنان رافت بحيري ، ميشال ابو شهلا ، وابراهيم النجار ، بشارة الخوري (الاخطل الصغير) ، الشيخ صلاح المنذر ، عبدالله تبرصي ، عارف الغريب ، جان جلخ ، سعيد صباغة صاحب جريدة « الاحرار » يومذاك ، ياسر ادهمي ، حنا غصن ، فيليب بولس ، ابراهيم الحداد ، يوسف يزبك ، علي ناصر الدين ، امين نخله ، اميل لحود ، جبرائيل نصار ، كاظم الصلح ونحري المعلوف .

ولي ذكريات طريفة مع « الاخطل الصغير » فالاخطل كان صديقي واشتركت معه في اصدار جريدة « البرق » التي كانت تحمل في اعلاها انني « اشترك في التحرير » .

اما اطرف ذكرياتي معه فهي اني كنت جالسا واياه في مقهى فتوح ، عندما قدم شخص وعرفنا بنفسه ، وقال : « ان ابنته ستغني وهي مغنية في مقهى كوكب الشرق ، قصيدة للأخطل . ودعانا لسماعها ، فاعتذرنا في البدء ، ولكن الرجل الح واستعان بي على الاخطل لاقنعه ، فوافقت وقلت للاخطل ، فلنذهب ونسمع القصيدة فقط ثم نعود . وذهبنا وقد شعرت ونحن جلوس في الكوكب نستمع للغناء ، بالبناء يهتز اهتزازا عنيفا من وقت لآخر ، فقلت للاخطل : فلنغير الطاولة ونجلس قرب احد المواميد ، لان البناء يهتز بعنف . وفعلنا ذلك وقد احس الاخطل مثلي بالارتجاج ، وعند انتهاء الغناء هرولنا عائدين الى مقهى فتوح . وفي اليوم الثاني ظهرا انهار كوكب الشرق وراح اكثر من اربعين ضحية . واعتبرنا ، الاخطل وانا ، اننا نجونا من الكارثة باعجوبة .

ولمناسبة حكاية انهيار كوكب الشرق ، اذكر ان من بين ضحاياه الموسيقار العالمي الكبير ، اسكندر شلفون الذي جاء من مصر زائرا لبنان ، وقد الححت على الاخطل لرثاء اسكندر بعدما عرفته على مزاياه ، فرثاه بقصيدة اذكر ان عنوانها : « موت البلابل » او شيء من هذا .

كما ألححت علي صديقي امين نخله فرثاه ايضا . وفتحت جريدة « الاحرار » صفحاتها لرسائل نشرها الموسيقي الكسي اللادقاني ، وكان يتلقاها من اسكندر شلفون ، ودلت على انه الى جانب عبقريته الموسيقية ، كان اديبا كبيرا . . وسعيت لاقامة حفلة تأبين له بمعاونة وديع صبرا ، مدير الكونسرفاتوار الذي عندما اخبرته بوفاة شلفون قال لي انه امس فقط زاره اسكندر ، واطلعه على نتيجة ابحاثه الرياضية عن « ربع المقام » ، وانه — اي وديع صبرا — كان وصل ايضا الى نتيجة اسكندر نفسها .

ولكن الغريب ان صبرا بعد ذلك قدم بحثا طويلا جدا في هذا الموضوع الى اكاديمية الموسيقى في باريس ، ولم يأت على ذكر اسكندر شلفون في هذا البحث .

والشيء بالشيء يذكر لقد ترجم الموسيقار شلفون ديوان شارل قرم « الجبل الملهم » شعرا ولحن قصائده وكتبها

بالنوتة ، فعندما انهار الكوكب وعلم شارل قرم بان القصائد كانت مع اسكندر في ذلك الوقت ، ارسل من يبحث بين الانقاض عنها ولكن للاسف لم يعثر على شيء . وقال البير اديب . اما قصة تأبيني وانا حي ، والتي وردت كثيرا . فقد كانت كما يلي :

« السبب انه كان هناك شخص يدعى « البير ديب » ولا ادري اذا كان عن حسن نية ام عن سوئها يراسل بعض الزعماء السياسيين خصوصا في سوريا ، فكنت اتلقى ردودهم على اعتبار انهم كانوا يحسبون انني المرسل وهكذا تلقيت كتبا من لطفي الحفار رئيس وزراء سوريا ، والامير عادل ارسلان وغيرهما ، فكنت ارد عليهم بأنني وان كنت لم اكتب اليهم ، فانا اتبنى ما جاء من ثناء عليهم ، ثم ظهرت في الاسواق بعض المنشورات بامضاء « البير ديب » تتناول قضايا سياسية ، فكان الناس يحسبون انني انا كاتبها ، ولم يتنبهوا لعدم وجود الالف قبل « ديب » مما ازعجني وخلق لي المشاكل ، فاعلنت في الاديب القصة ، ونبهت القراء اليها ، وفي حوادث ١٩٥٨ اغتيل « البير ديب » فتناقلت البرقيات العالمية الخبر واذاعته على انه « البير اديب » ، وفي مصر كان صديقي حبيب جاماتي المحرر في دار « الهلال » اعلن النبأ ايضا ، استنادا الى البرقيات وصحح الاسم من البير ديب الى البير اديب ، واذا النبأ في مجلة « المصور » المصرية . كما اذاعته سائر الصحف المصرية ، فأبرقت الى جاماتي شارحا الموضوع فنفى الخبر في العدد الذي تلاه .

اما في الخارج فقد كتبت المقالات المطولة في رثاء « البير اديب » صاحب مجلة « الاديب » ونشرت اكثر هذه المقالات في مجلتي الاديب ، كما انهالت على العائلة الرسائل وبرقيات التعزية .

ولدى البير اديب مخزون من الذكريات لا ينضب وكله ظريف وطريف . ولكن العائد من الاموات اتحفنا في النهاية بهذه القصيدة النثرية الجديدة القديمة وهي بعنوان : « عودة » .

عـــــودة

انا هنا .. حيث كنا
بالامس نلتقي

... غريبان .. لا موعد
وهما على موعد

تبوحين بالنظرة الخجلى
ولا اتقي
وارتشف التخوع الشذي
فانتشي
نغيب عن الدنيا معا
رؤى لا تنجلي
تسربلنا امنيات
غد غبي
احلامك واحلامي اليقظى
لا تعي
يا لطهر الصبوح
والجسم الطري
كم وشوشت (...)
وقلت (...) ان تستحي
عشنا معا
روحين في جسد
ولم نلتق
كنت لي وكنت لك
في الخاطر المبهم

رحنا ..
في مدى العمر الشقي
شقاء الطريق الطويل
الذي لا ينتهي

عدت اليك اليوم
انا هنا ...
حيث كنا .. بالامس نلتقي
امسح الدماء عن جبهتي
لالقاك
ونعيش العمر معا
هنا ...
كما كنا ..
غريبين .. لا موعد
وهما في العمر
على موعد

عودي الي
فقد عدت
آن لنا ..
ان نلتقي

جريدة « الانوار » بيروت

جوزيف ابو زيد

كانت الطبيعة تؤدي دورها المرسوم . النهار يطوي صفحته والليل آت . هبط قرص الشمس من عليائه . ورويدا رويدا يدخل قفصه الذهبي في البحر . ولكنه اذ يلقي تحية الوداع ؛ يتأهب كل ما في الكون لرد التحية ؛ بحزن عميق . وسط سكون شامل حتى ان الامواج تتقدم وتتعاقب دون اية جلبة ، وحتى ان الهواء يستحيل الى وهن وفتور .

تسربت اليه العدوى ، فطغى عليه الحزن ؛ ايضا . كف عن التدخين بالنارجيلة لكيلا تخرق القرقرة السكون . ارسل تنهيدة ، انفاسها شواظ من نار . تمنى ان تغرب حياته بمثل هذا الموكب الجنائزي للمغيب . داخله احساس ان اشعة الشمس الذهبية انقلبت الى فضية ، مذ لامس قرصها مياه البحر . لكأنه يستحم ، مثلما يغتسل الميت قبل الدفن ! ولكنه لا يلبث ان يستعيد لباسه بأزهى مما كان ، فيغدو قرصا كبيرا بلون الارجوان ، ثم يتضاءل تدريجيا ، حتى لا يبقى منه اثر . وعندئذ يقتفي الليل آثار النهار ، بأناة وحذر ، لكيلا يستعجل زواله .

نكأ المشهد جراحاته . تبدت له ذكرياته فاستفاض حزنه ... ولد في ليل ضرير ، مرض معدته اعيا نطس الاطباء ، والنفور بين والديه داء عضال . كانت درجته الوسطى بين اخوين .

اختصت والدته بالشقوة، ترضعها ابناءها ، فرقتهم شذر مذر ، وعملت في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ... شمخ براسه ، فلا منة لاحد عليه . بدأ حياته اسكافيا ، يكسب رزقه بعرق جبينه . بلع ريقه وانتفض ، كحصان يحاول ان يتفلت من رحله :

— كيف ارتضت ان يكون ابنها اسكافيا ؟

راودته همسة بصفحة خياله . من اعجب العجب هذا التكوين الخلقي لافراد اسرته . يدبرون كالسود (حيوان برمائي) الخطط فتنقلب وبالا عليهم . ويعتاضون من المال الحلال في ايديهم بالمال الحرام في ايدي الناس . كل يبني جدارا حول شخصيته ويحبسها داخله ثم يعيش داخل هذا الجدار ... في هذه العزلة نوع من التمزق الذي يشابه التمزق العام ، الذي تعاني ويلاته الاقطار الضادية !

غمره شعور بالضعف فقد ذكر والده ، كضفدع حقير في حوض آسن . وجه وجهه اليه قاطعا مسافات بعيدة . احتضنه والده ورعاه . تاجرا معا فصادفا نجاحا مباهرا . تمتم بارتياح :

— التعاون ... التعاون ... ما احلى التعاون !



لما اشتد الساعد

بقلم مصطفى الخش

بدا ضاويا عندما لاحت له صورة والدته . لقد طارت اليهما لتعكر صفوهما فحطت ، كغيمة كثيفة في صحن الدار . وكادت لهما حتى اوقعت الشقاق بينهما ، فشهر السلاح على والده ، بلا مبرر ، وعاد معها يخفي حنين . تخافت بالكلام :

— لا يجيء منها امر صالح ابدا .

كان هذا الحادث نذير الشؤم . اوصدت في وجهه ابواب الرزق :

قصة

خزلت قدماه في جميع اعماله ورزح تحت ثقل الديون . فتح عينيه وتلفت حوله فلم يجد احدا . دب فيه اليأس فهانت عليه الحياة . كان الاغتراب قارب النجاة فشد عصا الترحال ...

كانت الغربة خاتمة المطاف ، هدر الشيطان في باطنه . كانت الغاية عنده تبرر الواسطة . لم يتورع ان يعمل نادلا . جمع مالا فبدده . لم يكن ليقتنع بالقليل . تمتم في همس ضعيف :

— (بالقليل القليل يبني العصفور عشه) .

— لو جمعت القليل لكان لي منه الكثير .

لاذ بحلبة سباق الخيل وتعاطى الميسر ولكنه ما ان يمسك بشعاع الشمس حتى ينساب بين اصابعه .

كان الليل قد ارخى سدوله . النجوم تلمع في كبد السماء . والقمر يرسل اشعته فتنعكس لجينا على الامواج تذكر ان وشوشة الامواج للشاطىء تهدهد الآلام فأصاخ السمع اليها ، قطب ما بين حاجبيه .. ان الليلة هذه آخر ليلة يقضيها مع الحياة .. ارجع البصر الى موكب المغيب فتنهد من اعماق قلبه وحشرج قائلا :

— ليت لي من يذرف دمعة علي !

كان يجلس في المقهى الى زاوية منفردة بحيث لا يرى احدا .. وجهه للحائط وعن يمينه البحر والافق يتطلع اليهما من نافذة الزجاج . صفق بيديه : يطلب نفسا آخر من التنباك . (......) اخرى . اما ... فلم يطلب تجديدها ، فما به شهية للاكل . اشعل لفافة من التبغ وراح يمج الدخان من انفه ومن فمه مجا متواصلا .

لوى عنقه الى اليسار . كانوا خليطا من الجنسين يسمرون . فيهم فتاة فتن برنة ضحكتها العذبة ادار بصره نحوها . كانت عيناه سادرتين هائمتين فلم يبصر احدا . ارتسمت ابتسامة مغتصبة على شفتيه . ود

اوراق العناق

اليوم راجعت اوراقي مبعثرة ... فكنت انت التي اشتاقها فيها
وجدت فيها دموعي جدولين معا ... لم ينضبا منذ فاضت في حواشيها
وراعني اثر للشمع من سهدي ... بين السطور تناجيه قوافيها
لامتها ، بعضها تحت المخد روت ... حديث طيفك تشجيه ويشجيها
ودن زوايا همسنا في جوانبها ... كم همسة وتر الدنيا يغنيها
وفوق مكتبتي حيرى وفي كتبي ... علامة لجميل من مدانيها
وتحت منضدتي طارت فلا قلمي ... درى بها اين في الدنيا يلاقيها
وحيثما سرت تختالين في غرفي ... لقيتها راقصات في امانيها
مدادها لم يزل رغم البلى عبقا ... بالعطر تنشره احلى لياليها
فان رجعت الى بيتي يحن الى ... يراعتي وبدت منها بواقيها
وقد تبخر حبري من زجاجته ... كادمع في الاسى جفت مآقيها
واظلمت في النهار الصحو من حزن ... اراائك الحب والاشجان تضنيها
والريح تزأر في الابواب عاصفة ... وفي النوافذ تبليها سوافيها
دوت فلم تستطع تمزيق معدنها ... اغلى الجواهر ابقى من مآتيها
فهوني الخطو حتى تبلغي طرفا ... في غرفتي فيه اشعاري غواليها
هناك ودعت اوراقي وما حفظت ... فان ظفرت بها تبكي قضيبيها
وطالعيها ففيها انت خالدة ... وعانقيها فاني لم امت فيها

عصيفرة ــ تعز ــ ص.ب ٤٨٠٦ — علي محمد لقمان

ان يضحك مع الضاحكين ولكنه بمناى عن السعادة ، وهي كالقبلة ، لا تكون الا متبادلة . وانه ضعف غريب : غريب في بلده وغريب خارجها .

استحم بشجونه ، بعد ان عاد اليه النازل بمطلوبه . (....) وجعل يقرقر بالنارجيلة ، يسحب نفسا تلو آخر . القرقرة مستمرة . اورق الاسى في نفسه جديدا فضاق به صدره :

ــ حياتي مثل هذا الدخان : يتطاير في الهواء ويصبح هشيما تذروه الرياح .

حدق في البحر وفي الافق . فجوتا عينيه خاليتان من اي تعبير كينبوعين جفت مياههما . اضاءت ابتسامة شقيقة البكر حندس قلبه . ان فيها شيئا يحذق معناه . استروح فترة عبير الطمانينة والرقة في استعادة شريط ذكرياته معه . انه فتى طويل . ممشوق القامة : ابيض اللون ، فاتن العينين . حسن الهندام . وان في اهابه لقلب رجل . ولكنه كمثله حرم نعمة العلم . ولئن تعذب كثيرا لكنه لاذ بالنعماء قليلا فماث بالمجون وبدد الاموال الطائلة ثم انه ادرك الزواج وخفق قلبه بحنين الآباء لولا انه كمثله ايضا : ماضيه مبتور ومستقبله غير موجود . طاف الرعب بعينيه عندما تراقصت اشباح شقيقه الصغير . كان عزاء حياته المكدودة . رباه صغيرا ونذر نفسه لضمان مستقبله . عوضه حنان الاب وبدأ الكد مع نضارة العمر ليوفر له المال ويمده بلوازم المدرسة . ومهد له السبيل الى ان كسر طوق الجهل فسهر الليالي بطلب العلم وانهى دراسته العالية فتفتحت له ابواب الامان على مستقبله . تدلى راسه على صدره من فرط الالم . مسح وجهه بالمنديل كمن اعياه التعب او بلله العرق . ثم انتفض انتفاضة كلها الم وغضب فشد قبضته اليمنى وتحول كيانه الى حرقة صاهرة .

ــ لقد علمته الرماية فلما اشتد ساعده ر...... م....... ا.. ني .

اجهش بالبكاء ، كانه الطفل في اول فطامه ثم اخذ راسه بين يديه وضغط بهما على صدغيه . لقد تناثرت اوراق اربعين عاما من عمره ، كما تتناثر اوراق الاشجار في الخريف . كان يتنفس بشقيقه الصغير هواء الربيع المنعش . فلما استغنى عنه وجعله نسيا منسيا ، اسدل عليه ستار الحياة على اديم الارض . انتفض ، كمن كان في ذهول ثم ثاب الى رشده :

ــ تبا لي ! لقد آن ان استريح فاتنفس الهواء نقيا ... انتشرت سحابة من النور غيرت سيماء وجهه وكالمحموم الذي اصاب ماء باردا . تهاوى الى الارض : كومة من قش ! ...

مصياف ــ سورية — مصطفى الخش